سلسلة تحقيق التراث الجزائري (٢)

كتاب الكافي في اللغة

للإمام العلامة الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي

ولد سنة ١٢٦٨هـ وتوفي سنة ١٣٣٨هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق وتقديم

أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري

دار ابن حزم

سلسلة تحقيق التراث الجزائري (٣)

كتاب الكافي في اللغة

للإمام العلامة الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي
ولد سنة ١٢٦٨هـ وتوفي سنة ١٣٣٨هـ
رحمه الله تعالى

تحقيق وتقديم
أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري

دار ابن حزم

الطّبْعَةُ الأولىٰ
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ISBN 978-9953-81-451-3

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

كتاب الكافي
في اللغة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

اللغة لسان الأمة وفكرها، تحمل أصالتها التاريخية، وينطبع على وجهها تطور الأمة الاجتماعي والحضاري، واللغة العربية لا تختلف في هذا عن غيرها من اللغات، فقد ظلت تحمل إرثنا التاريخي عبر ما يقرب من أربعة عشر قرناً من الزمان، منذ فضلها الله تعالى بالقرآن الكريم ونزله على رسول الله ﷺ(١).

إن اللغة العربية معجزة الذهن البشري وأعجوبة التاريخ في عصوره كلها، وإذا كان التاريخ يذكر ولادة كل لغة، ويعرف مراحل نموها ومدارج اكتمالها، فإن العربية أقدم قدماً من التاريخ نفسه فلا يعرفها إلا كاملة النمو بالغة النضج، فمتى ولدت؟ ومتى كانت طفولتها؟ ومتى تدرجت في طريق

(١) جسم الإنسان في معاجم المعاني ص٢٩١.

الكمال حتى وصلت إلينا كاملة مكملة لم تحتج إلى تبديل أو تعديل؟ بل لقد أمدت بما زاد عنها من ألفاظها أكثر لغات الأرض، ففي كل لغة منها أثر[(١)].

أودع لسانك واللغات فربما غنى الأصيل بمنطق الأجداد
إن الذي ملأ اللغات محاسناً جعل الجمال وسره في الضاد

إن علم فقه اللغة عظيم وبابه تطرق إليه العلماء قديماً وحديثاً وقد كتب علماء اللغة في هذا المجال دراسات وأبحاث وكتب منها: «مناهج البحث في اللغة» و«اللغة بين المعيارية والوضعية» للدكتور تمّام حسان، وكتاب دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ودراسات في فقه اللغة للدكتور إبراهيم السامرائي، وكتاب علم اللغة للدكتور محمد السعران، ودور الكلمة في اللغة ترجمة الدكتور كمال بشر، وتأليف أولمان، وأشتات مجتمعات لعباس محمود العقاد، وفقه اللغة للدكتور علي عبدالواحد وعلم اللغة أيضاً وحياة اللغة حفني ناصف والظاهرة اللغوية الأصل والتطور والمستقبل لمحمد عبدالحي ودراسات في اللغة والمعاجم للدكتور حلمي خليل، وهؤلاء سبقهم كثير من الأوائل كفقه اللغة الذي يعرف بالصاحبي لابن فارس، وأبى منصور الثعالبي في كتابه فقه اللغة وسر العربية، وابن جني في كتابه الشهير الخصائص وابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف والمزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، وكلها مؤلفات جدية تطلع الدارس العربي على ما وصل إليه فقه اللغة عند العرب واللغات الأخرى وتقدم له مسائلها وسنن العرب في كلامها وخطابها، وهذا خدمة للغتهم العربية التي صانوها وحفظوها.

ويعد طاهر الجزائري أحد الوجوه البارزة ورائد نهضة الشام في كتابه الكافي في اللغة وهو من نوادر المطبوعات العربية، وقد طبع سنة **١٣٢٦**هـ

---

(١) فكر ومباحث ص١١.

بكردستان العلمية حيث يتكلم عن أصول اللغة ونشأتها واشتقاقها والأبنية والأوزان والدلالة والمعنى وطرق ترتيب المعاجم على الحروف، وقراءة مقدمات المعاجم كالصحاح واللسان والمجمل ومختار الصحاح والمحكم والمخصص والقاموس المحيط والعباب والتكملة وأساس البلاغة وتهذيب اللغة، اذ جاء كتابه هذا مقدمة ومدخلاً وتمهيداً لكتب اللغة الكبرى على الطالب والمتخصص الإفادة والاستفادة منه

أما الكتاب فقد ذكره محمد المبارك في كتابه فقه اللغة وخصائص العربية ص١٥٠ أما كتاب فقه اللغة لعبدالواحد وافي فقد ذكره في المراجع ولم يشر إلى أي مادة اعتمد عليه. وذكره يوسف سركيس في معجم المطبوعات العربية الجزء الثاني صفحة ٦٨٩ وقال: إنه بحث في أصول اللغة ونشأتها واشتقاقها طبع في مصر بدون تاريخ، وهي نسخة أخرى غير النسخة التي عندنا والتي هي مؤرخة. والباحث بشير ضيف في كتابه فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص ١١١ والذي وضح الفرق بين شرح خطبة الكافي، والكافي في اللغة الذي ضاع جله وذلك في كتابه المخطوط «العقود اللؤلؤية في الكشف عن المطبوعات العربية الجزائرية» الذي يقع في أربعة أجزاء ـ مخطوط ـ.

كما أذكر هنا أن الكتاب كانت تنقصه الصفحة الأولى، والتي فيها جزء من المقدمة فقمت بمراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض وذلك سنة ١٤٢٣هـ، فكان الرد عدم وجود الكتاب لكن توافر عندهم معلومات عنه إنه موجود في المكتبة الأزهرية ونفس الطبعة التي عندنا ورقم الحفظ هو [٣٠٥] ٢٢٧١١ القاهرة، فصرفت عنه، ولكن أخينا الشيخ بشير ضيف نصحنا بأن الكتاب نادر والنسخ التي طبعت قليلة جداً، فأشار علينا بالبحث مرة أخرى، وكان الفتح من الله عزَّ وجلَّ أن وجد أخينا بشير ضيف الصفحة الأولى من الكتاب ووضعها في كتابه «العقود اللؤلؤية في الكشف عن المطبوعات العربية الجزائرية» ـ قسم اللغة ـ، وهكذا اكتمل الكتاب فبادرت بالبحث عن مصادره وأخرجت ما أمكنني من المعلومات من آيات وأشعار ومصادر وذلك موضح كله في الفهارس العامة في آخر

الكتاب، وأدخلت عناوين الفهرس في النص، كما أدخلت التنبيهات الواردة في النص في الفهرس وذلك من أجل الإبانة والتوضيح.

ولا يسعني إلا أن اذكر كلام العلاّمة محمد خير رمضان في كتابه «دوافع البحث والتأليف عند المسلمين» حيث يقول: «الأمر الآخر الذي يستفاد من هذا هو المقدمات القصيرة التي تتميز بها كتب السلف بعكس المقدمات المعاصرة التي تطيل الكلام وتكرره مع أسلوب جاف ونكهة أكاديمية منفرة حتى يملها القارىء من أول الكتاب ويضجر منه، ولذلك صار الناس في هذا الزمان لا يقرأون المقدمات الطويلة، إلا إذا كانت طنطاوية».

وبهذا نكون قد أخرجنا عمل طاهر الجزائري وهو يندرج ضمن سلستنا تحقيق التراث الجزائري.

وأخيراً أدعوا الله عزَّ وجلَّ أن يجعل عملي وخدمتي لهذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين.

حاسي بحبح، في: ٢٠٠٦/٠٩/٠٢م

الموافق لي: ٤ شعبان ١٤٢٧هـ

ترجمة المؤلف

- أعماله .
- سماته الخَلْقية.
- سماته الخُلُقية.
- سماته العلمية.
- تأليفه وتآليفه.
- أسماء مؤلفاته.
- من سماته العلمية.

لسان العرب

الشيخ طاهر الجزَائري[(١)]

• ترجمة المؤلف:

هو طاهر بن محمد صالح بن أحمد بن موهوب السّمْعُوني الجزائري الأصل، الدمشقي المولد والوفاة، ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي - رضي الله عنهما -.

كان رحمه الله إماماً علاّمة ضليعاً، ومُتفنناً دقيقاً جامعاً بين المعقول والمنقول مؤرخاً أثرياً لغوياً أديباً أحد روّاد النهضة الحديثة في البلاد العربية، ومن دعاة التجديد فيها علماً وتأليفاً، ودعوة وأخلاقاً وفكراً وسياسة.

ولد بدمشق سنة ١٢٦٨هـ في شهر ربيع الآخر منها، وتوفي بها قبيل ظهر الإثنين ١٤ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٣٨هـ، عن سبعين عاماً ودفن بمقبرة ذي الكفل بسفح قاسيون كما هي وصيته - رحمه الله تعالى -.

---

(١) مصادر الترجمة: معجم مشاهير المغاربة ص ١٣٦/١٣٧/١٣٨/١٣٩، لفيف من الأساتذة، ومعجم أعلام الجزائر ص١٠١/١٠٢ عادل نويهض، بيروت لبنان، ومعجم الأعلام ص ٣٦٢، ومعجم المفسرين ج١ ص٢٤١ حرف الطاء، توجيه النظر إلى أصول الأثر ص١٥/٣٤، وطاهر الجزائري رائد النهضة العِلمية في بلاد الشام، وتنوير البصائر في سيرة الشيخ طاهر، والأعلام ص٢٢١/٣، ومعجم المؤلفين ٣٥/٥، ومعجم المطبوعات العربية ج١ ص٦٨٩/٦٩٠/٦٩١/ وج٢ ص١٢٢٥. ومعجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية ص٢٥٨. ومعاصرون من ص ٢٦٨ إلى ص ٢٧٨. وطاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث. واكتفاء القنوع ص٤٦٤.

قدم والده الشيخ محمد صالح من الجزائر مهاجراً إلى دمشق سنة ١٢٦٣ هـ مع الأمير عبدالقادر الجزائري وبقي فيها إلى أن توفي سنة ١٢٨٥هـ، وكان فقيهاً مالكياً وتولى فيها إفتاء السادة المالكية وكان عالماً بالقراءات وعلوم القرآن[١].

تلقى الشيخ طاهر العلم أولاً عن والده، ثم اتصل بغيره من علماء دمشق، فأخذ اللغة العربية والتركية والفارسية عن الشيخ عبدالرحمٰن البوشناقي[٢]. وأخذ عن غيره الفرنسية والسريانية والعبرية والحبشية وكان يعرف القبائلية البربرية لغة مواطنيه.

ثم صحب فقيه عصره العلامة الشيخ عبدالغني الغُنيميّ الميداني الحنفي، المولود سنة ١٢٢٢هـ والمتوفي سنة ١٢٩٨هـ، تلميذ العلامة الإمام الشهير ابن عابدين ـ رحمهما الله تعالى ـ فاستفاد الشيخ الجزائري من شيخه الغنيمي العلم واليقظة والوعي في تطبيق الأحكام الشرعية على الواقع العملي وتخرج به[٣].

ومما قرأه عليه حاشية السعد التفتازاني «التلويح على التوضيح» لصدر الشريعة ـ رحمهما الله تعالى ـ في أصول السادة الحنفية وقال: «إنه وجد منه تحقيقاً يعرب عن غزارة علمه وارتقاء فكره غير أنه كان يؤثر الخمول على حب الشهرة والظهور، فلا يرغب في المناقشة والتفصح في المجالس الحافلة ولكنه إذا سئل على انفراد عن عويصات المسائل تجد منه حّلال المعضلات وكشّاف الأستار عن الأسرار»[٤].

وساعد الشيخ الجزائري على النبوغ في العلم تفرغه التام له، ونهمته الشديدة وحافظته القوية، كما شهد له بهذه الخصلة الأخيرة تلميذاه قال

---

(١) توجيه النظر ج١ ص١٦.

(٢) قال عبدالفتاح أبو غدة: (تكتب هذه النسبة أحياناً البشناقي لذا تحرفت في المعاصرون إلى البستاني) توجيه النظر ج١ ص١٦.

(٣) توجيه النظر ج١ ص ١٦.

(٤) نفس المصدر ج١ ص١٦.

الأستاذ الباني: «كان قوي الحافظة التي توشك أن لا تنسى شيئاً أشرفت عليه أو سمعته مهما طال الزمن»[١].

وقال الأستاذ كرد علي: «... ساعده على إتقان ذلك قوة حافظته، فإنه ما مرّ خاطره بشيء ونسيه»[٢].

وهذا ما ساعد الشيخ على إرواء طموحه العلمي إذ كان ـ رحمه الله تعالى ـ طُلعة متفنناً، درس إلى جانب العلوم الشرعية والعربية، عدة لغات، والعلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والتاريخية والأثرية، وكاد ينفرد عن علماء عصره بمعرفة آثار السابقين ومؤلفاتهم.

- **أعماله:**

أسس نخبة من علماء دمشق وأعيانها «الجمعية الخيرية» عام ١٢٩٤هـ، فكان الشيخ من أعضائها العاملين فيها، وبعد برهة تحولت إلى «ديوان معارف»[٣].

وفي العام التالي ١٢٩٥هـ عين مفتشاً عاماً على المدارس الابتدائية، قال الأستاذ كرد علي: «وفي هذه الحقبة ظهر نبوغ شيخنا وعبقريته في تأسيس المدارس واستخلاص القديمة من غاصبيها، وحمل الآباء على تعليم أولادهم ووضع البرامج وتأليف الكتب اللازمة»[٤].

وفي عام ١٢٩٦هـ نهض الشيخ ـ رحمه الله ـ للمساعدة على تأسيس المكتبة الظاهرية بدمشق[٥] جمع فيها أولاً مخطوطات عشر مدارس كانت مبعثرة ثم اتسعت حتى أصبحت إحدى المكتبات العظيمة في البلاد العربية[٦].

---

(١) توجيه النظر ج١ ص١٧.
(٢) نفس المصدر ج١ ص١٧.
(٣) نفس المصدر ج١ ص١٧.
(٤) نفس المصدر ج١ ص١٧.
(٥) نفس المصدر ج١ ص١٨.
(٦) نفس المصدر ج١ ص١٨.

وبعد مدة أنشأ في القدس خزانة سماها «المكتبة الخالدية» وهي كتب الشيخ راغب الخالدي ضُمت إليها كتب أسرته.

واستمر الشيخ يعمل ويدأب على التعليم والتأليف في غرفته في المدرسة العبدلية المنسوبة إلى عبد الله باشا العظم سنين عديدة كان خلالها عالماً معلماً مربياً مرجعاً في العلم والرأي[١].

وفي سنة **١٣٢٥هـ** حصلت له مضايقات من قبل السلطة فهاجر إلى مصر واستقبل بترحاب وإجلال من بعض علمائها وأدبائها كأحمد تيمور باشا، وأحمد زكي باشا، ومكث فيها ثلاث عشرة سنة، بعدها أحس بمرض شديد أثقله، فرجع إلى دمشق سنة **١٣٣٨هـ** وعين فوراً عضواً في «المجمع العلمي العربي» ومديراً عاماً لدار الكتب الظاهرية.

لكنه لم يمكث في دمشق إلا أربعة أشهر[٢] وتوفي بعدها ـ رحمه الله تعالى ـ.

● سماته الخَلْقية:

«كان ـ رحمه الله ـ حسن الطلعة معتدل القامة والجسم، حنطيّ اللون، واسع الجبين، أسود الشعر والعينين، ذا لحية كثيفة، عصبي المزاج، سريع الحركة، واسع الخطو»[٣].

«كان لا يعرف الهُجر، ولا يسبُّ سباً قبيحاً، هذا مع حدَّة ظاهرة فيه، وإذا صفا ذهنه تُفصح عبارته في محاضرته، وإلا فيعتريها شيء من اللُكْنة المغربية ممزوجة بالعامية الدمشقية، ولم يجر لسانه بجملة واحدة باللهجة المصرية، مع أنه أقام في مصر أعواماً كانت تكفي لتقلب فيه اللهجة الشامية إلى اللهجة المصرية، وله تعبيرات خاصة وأساليب في مصطلحاته، ونبراتُه لطيفة تحلو من فمه، وما أُحصي عليه أن نطق يوما بفُحش أو هراء أو

(١) توجيه النظر ج١ ص١٨.
(٢) نفس المصدر ج١ ص١٨.
(٣) نفس المصدر ج١ ص١٩.

سبّ، أو استعمل ما ينافي الأدب ويقدح في المروءة ويمزح ويتندر أحياناً»[١].

وكان عَزَباً لم يتزوج أبداً، ويتساهل في مظهره وملبسه مختاراً البَذَاذة والرّثاثة وقد شبه هو نفسه بحال ابن الخشاب أحدِ النحويين، وكان يسهر الليل كله، أوائله مع أصحابه وباقيه مع نفسه مطالعة وتأليفاً، وكان يحب السباحة والسياحة والسير على الأقدام رياضة»[٢].

● سِماته الخُلُقية:

«كان ـ رحمه الله ـ مثابراً على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأدى في عُمُره فريضة حَجة الإسلام، وكان يتصّدق بالسرّ ويطوي الليلة والليلتين مؤثراً على نفسه، وكان محافظاً على الصلاة في أول أوقاتها مهما حالت دونه الموانع، فحينما يسمع أذان الوقت يَذَرُ كلّ شُغُل لديه، ويبادر فوراً إلى الصلاة إجابة لنداء داعي الفلاح، وكم مرة رأيته يدخل أولَ الوقت حانوت أحد أصدقائه في الأسواق ويصلي، وإذ كان في حفلة عامة ودخل الوقت يتجه نحو زاوية خالية من الناس ويصلي»[٣].

«وكان ينكر على الظالمين ظلمهم ويقبح الظلم وإن نال عدوه، وينصف الناس من نفسه، والحكام يخشون سِراية أفكاره في العامة، وقد أخرجوه من منصبه في تفتيش المدارس، وعَرَضوا عليه وظيفة لا يكون فيها اتصال بالناس فأبى وظلّ إلى آخر أيامه يعيش من بيع كتبه»[٤].

«ولما كادت تنفد كتبه سأل أحمد تيمور باشا الشيخ علي يوسف أن يكلم الخديوي منحه مرتباً دائماً أسوة بمن كان يمنحهم المرتبات من العلماء والأدباء، ونجحت الوساطة، ومنح الراتب فلما خُبّر به غضب أشد

(١) توجيه النظر ج١ ص١٩.
(٢) نفس المصدر ج١ ص٢٠.
(٣) نفس المصدر ج١ ص٢١.
(٤) نفس المصدر ج١ ص٢١.

الغضب، وقال للشيخ علي يوسف: كأني بك قلت للخديوي: إن الشيخ طاهراً أثنى عليك، نعم إني أثنيت عليه لتأييده مشروع زكي باشا في خدمة الكتب العربية ولكن ما الذي يضمن لك أن لا يأتي الخديوي بضد هذا العمل الطيب يوماً فأذمه؟ فلماذا تسود وجهك بسببي؟ ومن أذن لك أن تدخل نفسك في خصوصيات أمري؟ اذهب فأبطل ما سعيت بإتمامه، ورجع يعيش عيش الكفاف والتقتير بأثمان ما بقي من كتبه، فكان الشيخ علي يوسف يقول بعد ذلك: كنت أظن أن هذه الطبقة قد انقرضت، فلما رأيت الشيخ طاهراً علمت أنه لا يزال على وجه الأرض بقية منها.

وقال الأستاذ كرد علي: «كان يصلي الصلوات لأوقاتها ويقيم شعائر الإسلام أنّى كان، فقد زار مرة أحد معارض «باريز» فكان إذا أدركته الصلاة صلّى في الحديقة العامة لا يبالي بانتقاد الناس هناك ولا استغرابهم حركاته وسكناته»[١]، وكان لا يقول بالموسيقى والتمثيل.

● سِماته العلمية:

أقبل الشيخ على العلم إقبالاً كبيراً، وتفرغ له من كل الشواغل عنه حتى خرج عن مألوف الناس في حياتهم وعاداتهم، فكان ذلك عوناً له على النبوغ فيه، وولوج مداخل كثيرة فيه.

فمن مظاهر ذلك: أنه لم يتزوج حتى لا يشغل ذهنه بزوج وأولاد، وليكون أبداً مطلق العنان، يسيح في الأرض متى أراد، أو يقبع في كسر داره وسط كتبه ودفاتره[٢].

وكان فراشه محاطاً بسور من الكتب والأوراق والمحابر والأقلام . . . وكان على قدر زهده باللذائذ المادية، راغباً باللذائذ الأدبية، وهي لذة العلم، ولذة الحرية والإطلاق، فكما أنه لا يقدر أن يصبر عن العلم والدراسة، لا يقدر أن يتقيد بقيد سوى ما قيده به الشرع والعرف، فكان

(١) توجيه النظر ج١ ص٢١.

(٢) نفس المصدر ج١ ص٢٢.

أبعد الناس عن كل ما من شأنه تشويش الذهن، وتقييد الفكر، ووخز الضمير لهذا لم يتزوج مع علمه أن لا رهبانية في الإسلام لعلمه أن للزوجة حقوقاً شرعية يجب أداؤها، واستغراق أوقاته في العلم، والسياحة لأجله، والدعاية إليه: يحول دون أداء حقوقها وحسن عشرتها، وكيف يتفرغ للزوجة والبنين والكسب الطيب لإعاشتهم من كان يقضي ليله سهراً، ويواصله بالنهار في الدرس والبحث والتنقيب والتأليف والدعاية[١].

وكان ـ رحمه الله ـ حريصاً على وقته فمن مظاهر ذلك: أنه كان يحب شرب القهوة ويجهز منها ما يكفيه أسبوعاً حتى لا يضيع وقته بطبخها كلما أراد تناول فنجان منها، وهكذا يشربها باردة بائتة أياماً لئلا يشتغل بها كل ساعة عن مطالعته. فكان شربه لها للاستعانة على السهر والنشاط لا للتفكُه بها.

وكان يحمل بعض ما لطُف من الكتب وخفّ حمله في كُمه أو جيبه، ليقرأ فيه حيث تيسرت له القراءة لئلا يضيع شيء من وقته دون فائدة كما يحمل أشياء أخرى من ضرورياته[٢].

قال تلميذه الأستاذ الباني: «كان لا يذر مزاولة العلم في كل وقت وحين، ما بين تنصنيف وتنقيح أو بحث وتنقيب، أو مذاكرة ومطالعة، وإذا استحسن كتاباً يعاود مطالعته مراراً عديدة»[٣].

ولهذا استولى عليه الجِدّ في حياته وأموره كلها فما عرف عنه الهزل ولا التصابي، ومن شدة انهماكه واستغراقه كان يشعر من نفسه بأثر سلبي على سمته وهندامه ومزاجه، لذلك كان ينصح غيره باجتناب ما يشعر به، فيقول «أنا شاذٌ ولا أحب أن يقتدي بي أحد»[٤].

(١) توجيه النظر ج١ ص٢٢.
(٢) نفس المصدر ج١ ص٢٢.
(٣) نفس المصدر ج١ ص٢٢.
(٤) نفس المصدر ص ٢٣.

ونقل الأستاذ أنور الجندي نصيحة الشيخ بـ: «الإقلال من القراءة أيام العطلة والإكثار من الرياضة والتنقل في الحدائق، ذلك أن الانعكاف على الكتب يحبب الوحشة والانعزال عن الناس، فتصبح نفورا من كل جليس...»[١].

• تأليفه وتآليفه:

كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ مجددا في تأليفه، بالنظر إلى عصره وأهله يحب تقريب العلم إلى الناشئة المبتدئين أكثر مما يحب تضخيم تأليفه وتفخيمه، والحشد فيه من النقول والفروع والمناقشات والردود.

وكأن هذه النزعة فيه قديمة وتقوّت حين عُهد إليه بالتفتيش العام على المدارس الابتدائية فكان يرى حال المنتسبين إليها والمتعلمين فيها، وصعوبة المقررات عليهم والبَوْن الشاسع بينهم وبينها.

فحمله حبه لإيصال العلوم إلى عقولهم وإفهامهم على أن يقربه إليهم ما استطاع ورأى أن قيامه بنفسه بهذه المهمة خير وسيلة وأقربها لتحقيق المراد، ففعل ـ رحمه الله ـ .

وبعدما يستعرض القارئ الكريم أسماء مؤلفاته الآتية، سيرى فيها هذه الظاهرة تماما وأن أكثرها إنما ألف لتحقيق هذا الغرض، وباقيها حتى المطولات كَتَبَه لتحقيق هذا الغرض غرض آخر أو أن طبيعته لا تقبل الاختصار، أو أن الاختصار لا يؤدي المطلوب.

وهل تحقق للشيخ غرضه في تذليل صعاب العلوم؟

يقول تلميذه الأستاذ محمد كرد علي: «وهو معروف في نظراته وهو أبداً يختصر المطولات من كتب الفنون ليسهلها على المبتدئين وقد تمت له هذه الأمنية»[٢].

---

(١) توجيه النظر ص ٢٣.

(٢) نفس المصدر ص ٤/٢٣.

ولا بد من التنبيه إلى أن من يتمكن من تلخيص المطولات بأسلوب سهل مبسط للمبتدئين وينجح في هذه المهمة أن يكون على مستوى فائق من فهمه للعلم وأن يكون ذا قدرة قوية في حسن التعبير وأداء المطلوب وقد بَكّر الشيخ في الكتابة والتأليف منذ كان في سن الطلب حتى وافاه أجله[١].

● أسماء مؤلفاته هي:

١ ـ إتمام الأنس بعروض الفرس: في علم العروض قال الباني: «هي موجزة ذات فوائد بديعة»[٢] وهي ذيل على رسالته الآتية برقم ١٢ طبعت معها.

٢ ـ إرشاد الألبّاء إلى تعليم ألف باء: قال الأستاذ كرد علي: «هو كتاب في علم التربية وقد طبع»[٣].

٣ ـ الإلمام بأصول سيرة النبي عليه الصلاة والسلام: مخطوط[٤].

٤ ـ أمثال العرب: هكذا سماه الباني ولعله الآتي برقم ٢٨؟ ولعله أيضاً الذي سمي في مقدمة «توجيه النظر» باسم: أشهر الأمثال؟

٥ ـ بديع التلخيص وتلخيص البديع: طبع على الحجر سنة ١٨٧٨م[٥]، وهو أقدم مؤلفاته حسب تاريخ طبعه كان عمر الشيخ حين طبعه

---

(١) توجيه النظر ج١ ص٢٤ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج٣ ص١٨٧ ـ إيضاح المكنون ج١ ص ٢٢ وذكره كل من إيضاح المكنون وصاحب المعلمة بـ«إتمام الأنس في حدود القدس».

(٢) نفس المصدر ج١ ص٢٤ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص١١١ وذكره في كتب الأدب والدواوين ج٣ص١٤٧.

(٣) توجيه النظر ج١ ص٢٤ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٢ ص١٠٢.

(٤) نفس المصدر ج١ ص٢٤ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص١٤٧ ذكره بأشهر الأمثال.

(٥) نفس المصدر ج١ ص٢٤ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص١٢٥ إيضاح المكنون ج١ ص١٧٢.

ستاً وعشرين سنة ميلادية ويتفق مع عمره حين عين مفتشا عاما للمدارس الابتدائية.

٦ ـ التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن: وهو المقدمة الصغرى لتفسير الآتي برقم ١٠ طبع قديماً بمطبعة المنار بالقاهرة سنة ١٣٣٤، وهو كتاب نفيس يفيد المفسر والمحدث والفقيه والمقرئ.. وكل راغب في ثقافة قرآنية ممتازة[١].

٧ ـ تدريب اللسان على تجويد البيان: طبع وهو في علم التجويد وذكره في كتابه «التبيان» ص ٢١٥/٣١٦[٢].

٨ ـ التذكرة الطاهرية: ذكره الأستاذ الزر كلي وقال: (هي من أجل آثاره وهي مجموعة كبيرة في موضوعات مختلفة» وفي «أعلام دمشق» هي في عدة مجلدات ضمنها ما اختاره من فرائد المخطوطات والكتب النادرة[٣].

٩ ـ التسهيل المجاز إلى فن المعمّى والألغاز: طبع[٤].

١٠ ـ تفسير القرآن الحكيم: في أربعة مجلدات مخطوطة محفوظة بخطه في المكتبة الظاهرية بدمشق[٥].

١١ ـ تمهيد العروض إلى فن العروض: طبع سنة ١٨٨٦م ووصف الأستاذ الباني طريقته فيه بأكثر من صفحة وهي طريقة عجيبة[٦].

١٢ ـ التقريب إلى أصول التعريب: طبع[٧].

---

(١) توجيه النظر ج١ ص٢٤ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٢ ص٤٣.
(٢) نفس المصدر ج١ ص٢٤ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ص١١١.
(٣) توجيه النظر ج١ ص٢٥ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج٢ ص١١٣ وج٣ص١٨.
(٤) نفس المصدر ج١ ص٢٥ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص١٢٥ وإيضاح المكنون ج١ ص٢٨٨ وذكره هذين الأخيرين بتسهيل المجاز إلى فني المعمى والألغاز.
(٥) نفس المصدر ج١ ص٢٥ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٢ ص٤٣ ذكره بهذا العنوان «التبيان في تفسير القرآن».
(٦) نفس المصدر ج١ ص٢٥ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص١١١.
(٧) نفس المصدر ج١ ص ٢٥ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص١٨٧ وإيضاح المكنون ج١ ص٣٢١.

١٣ ـ توجيه النظر إلى أصول الأثر: ألفه بمصر سنة ١٣٢٨هـ وطبعه هناك. قال في «تنوير البصائر» هو سفر جليل القدر جمع فيه زبدة ما جاء في كتب أصول الفقه وأصول الحديث من القواعد والفوائد مع التحقيق والتدقيق بأسلوب بديع مما يبرهن على سعة اطلاعه على علوم الشريعة الغراء[١].

١٤ ـ جِلاء الطبع إلى معرفة مقاصد الشرع: مخطوط[٢].

١٥ ـ الجواهر الكلامية في العقيدة الإسلامية: طبعت مرات وكان الشيخ يضيف إليها إضافات كلما جدد طبعها وطريقته فيها طريقة السؤال والجواب الطريقة المثلى لدى المعاصرين[٣].

١٦ ـ الجوهرة الوسطى: أضافها إلى الجواهر الكلامية[٤].

١٧ ـ رسالة في البيان[٥].

١٨ ـ رسالة في النحو[٦].

١٩ ـ رسالة وجداول في الخطوط القديمة والحديثة: ذكر ثلاثتها الأستاذ كرد علي[٧].

---

(١) توجيه النظر ج١ ص ٢٥ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٢ ص٧٥.

(٢) نفس المصدر ج١ ص٢٥ ـ عقود الجواهر في الكشف عن مخطوطات علماء الجزائر قسم الفقه مخطوط.

(٣) نفس المصدر ج١ ص٢٥ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٢ ص ١٤.

(٤) توجيه النظر ج ١ ص٢٦ وفهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث ج ٢ ص١٤ وقال صاحب المعلمة: له كذلك الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية.

(٥) توجيه النظر ج١ ص٢٦ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص١٢٥ ذكرها صاحب المعلمة أنها ضمن مجموع رسائل.

(٦) توجيه النظر ج١ ص٢٦ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص٨٩ ذكرها أنها قصيدة في الألفاظ النحوية وقال: أنها نظم للمنظومة الاجرومية.

(٧) نفس المصدر ج١ ص٢٦ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص٢٥١ ذكرها صاحب المعلمة أنها رسالة في فن الخط.

٢٠ ـ شرح ديوان خطب ابن نباته: طبع[١].

٢١ ـ عقود اللآلي في الأسانيد العوالي: طبع سنة ١٨٨٥م[٢].

٢٢ ـ الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام: طبع سنة ١٨٨٣[٣].

٢٣ ـ الكافي: معجم لغوي ضاع أكثره كما قال الأستاذ كرد علي[٤].

٢٤ ـ كتاب في التعليم الابتدائي: وهو من مبتكراته بناه على سعة اختباره غير مقلد أحداً من علماء البيداغوجيا[٥].

٢٥ ـ كنانيش فيها خلاصة ما طالعه من الأسفار:[٦].

٢٦ ـ مبتدأ الخبر في مبادئ علم الأثر[٧].

٢٧ ـ مختصر أدب الكاتب: طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٣٨هـ[٨].

٢٨ ـ مختصر أمثال الميداني: ولعله الذي تقدم برقم ٤[٩].

٢٩ ـ مختصر البيان والتبيين: ذكر الثلاثة الأستاذ كرد علي[١٠].

---

(١) توجيه النظر ج١ ص٢٦ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص١٢٥.
(٢) توجيه النظر ج١ ص٢٦.
(٣) نفس المصدر ج١ ص٢٦ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص٢١٠.
(٤) نفس المصدر ج١ ص٢٦ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٢ ص١١١ وهو غير شرح مقدمة الكافي الذي نقوم بتحقيقه، انظر العقود اللؤلؤية في الكشف عن المطبوعات العربية الجزائرية ـ كتب اللغة ـ.
(٥) نفس المصدر ج١ ص٢٦ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٢ ص١١١.
(٦) نفس المصدر ج١ ص٢٦.
(٧) نفس المصدر ج١ ص٢٦ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٢ ص٧٥.
(٨) نفس المصدر ج١ ص٢٦ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٢ ص١١١.
(٩) نفس المصدر ج١ ص٢٦ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص١٤٧ ذكرها باسم أشهر الأمثال.
(١٠) نفس المصدر ج١ ص٢٦.

٣٠ ـ مد الراحة إلى أخذ المساحة: ذكره الأستاذ الباني هو و«الفوائد الجسام»[(١)] وقال عنهما «جمع بهما شتات المسائل المبعثرة في الأسفار وألتقطها التقاط اللآليء من البحار، فطرح الصدف، وانتقى الدرر، ونظم عقدها بسلك السؤال والجواب، ليسهل تناولها على أذهان الطلاب، وأنفذ ضمن هاتين الفريدتين فوائد شتى ينتفع بها من هو أرقى طبقة من المبتدئين وجعلها» حاشية «على حِدَة»[(٢)].

٣١ ـ مدخل الطلاب إلى علم الحساب: طبع ثلاث مرات

٣٢ ـ مقدمة الكافي: وهو معجمه اللغوي الذي فقد أكثره وتقدم برقم ٢٣[(٣)].

٣٣ ـ المنتقى من الذخيرة لابن بسام: وهو «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» يريد جزيرة الأندلس وهو من أرفع كتب التراجم والأدب الأندلسي[(٤)].

٣٤ ـ منية الأذكياء في قصص الأنبياء: عربه عن التركية وطبع بدمشق بالمطبعة الخيرية سنة ١٢٩٩هـ.

٣٥ ـ وقال الأستاذ كرد علي: «بلغني أنه دون بعض الوقائع ولم نعثر عليها بين أوراقه التي سرق بعضها عند عودته من مصر إلى الشام»[(٥)].

وقال الزركلي في «الأعلام»: «وفي الخزانة الظاهرية ٢٨ دفتراً بخطه

---

(١) توجيه النظر ج١ ص ٢٦ وفهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص٢١٠ قال صاحب المعلمة: هو نفسه الفوائد الجسمانية.

(٢) نفس المصدر ج ١ص ٢٧ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص٢٢٢.

(٣) توجيه النظر ج ١ ص ٢٧ ـ فهرست معلمة التراث الجزائري ج ٣ ص ١١١ ويقول صاحب الفهرست في كتابه المخطوط: «العقود اللؤلؤية في الكشف عن المطبوعات العربية الجزائرية» ـ كتب اللغة ـ أن هذا المعجم غير كتاب شرح مقدمة الكافي الذي نقوم بتحقيقه ونشره.

(٤) توجيه النظر ج١ ص٢٧.

(٥) توجيه النظر ج ص٢٧.

منها ما هو تراجم ومذكرات وفوائد تاريخية وأسماء مخطوطات منها ما رآه أو قرأ عنه أتى على ذكرها خالد الريان في فهرس دار الكتب الظاهرية: التاريخ وملحقاته **٢٧٥/ ٢٤٨/٢**»[١].

وقال الأستاذ الباني من مؤلفات الشيخ كتاب «أمنية الألمعي»[٢] ولم يذكره غيره مع أن الأستاذ كرد علي ذكر هذا الكتاب بين الكتب التي أشار الشيخ بطبعها، . . . وفي مقدمة ناشر «توجيه النظر» «مختصر شرح كتاب» أمنية الألمعي ومنية المدعي «في عشرين علماً لابن الزبير الأسواني» والله أعلم[٣].

وكانت وفاة الأسواني سنة **٥٦٣**هـ وله ترجمة جيدة في «معجم الأدباء» لياقوت **٤/٥١**/٦٦.

ويقوِّم الأستاذ كرد علي كتب الشيخ فيقول: «من أهم كتب الشيخ المطبوعة» شرح خطب ابن نباته، و«إرشاد الألباء»، و«التبيان»، و«التقريب»، و«توجيه النظر» ففيها لباب علمه، وأثر من آثار قريحته تجلى فيها روح بحثه وغوصه على مسائل دقيقة قل أن تسنى لغيره ممن عاصره الوصول إليها.

«وليس معنى هذا أن سائر ما طبعه الشيخ غير مفيد بل المقصود أنه كتب لغرض خاص أريد به تثقيف الناشئة وهذه الكتب هي التي ظهرت فيها شخصية الشيخ وثقوب ذهنه وسعة مداركه وتلطفه في إبلاغ المعاني إلى العقول، وحرصه على أن يحيل في الأكثر على عالم تقدمه لأن الناس في العادة يقدسون الأموات أكثر من الأحياء»[٤].

وأقول[٥]: إن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان بارعاً في رسائله وكتبه التعليمية من حيث قدرته على تذليل صعاب العلم وتقريبه للمبتدئين

---

(١) توجيه النظر ج١ ص٢٧.

(٢) نفس المصدر ج١ ص ٢٧.

(٣) نفس المصدر ج١ ص ٢٧.

(٤) نفس المصدر ج١ ص ٢٧.

(٥) نفس المصدر ج١ ص ٢٧.

ولا يحسن هذا كل كاتب، وكان محققاً في كتبه الكبيرة جمع وحقق ولم يكن كغيره من المستكثرين كحاطبي ليل.

وظاهرة أخرى في فهرس مؤلفاته: هي التفنن والدخول في علوم شتى، فهي في العقائد والتفسير وعلوم القرآن والتجويد وعلوم الحديث والسيرة والأصول وعلوم البلاغة واللغة العربية وآدابها والتعريب والحكمة الطبيعية والرياضيات والتاريخ والاطلاع على جمهرة كبيرة من مخطوطات التراث الإسلامي.

وبهذا صح ما قيل فيه: «انه معلمة سيارة، أو خزانة علم متنقلة وكيف لا يكون كذلك من آتاه خالقه حافظة قويةً وذهناً وقاداً وعقلاً يستعمله فقد قرأ جميع ما طالت يده إليه من الكتب العربية التي طبعت في الشرق والغرب، أما المخطوطات التي طالعها ولخصها في كنانيشه وجزازاته فتعد بالمئات»[١].

● ومن سماته العلمية:

حرصه على إحياء كتب التراث النافعة عامة والتي تعالج فكرة معينة أو تداوي نوعاً معيناً من أهل زمانه علماء كانوا أو دونهم أو غير مسلمين.

يقول الأستاذ كرد علي: في «المعاصرون» و«كنوز الأجداد» وقد أحيا بالطبع عشرات من الكتب منها «إرشاد القاصد» لابن ساعد الأنصاري و«روضة العقلاء» لابن حبان البستي و«الأدب والمروءة» لصالح بن جناح و«الأدب الصغير» لابن المقفع و«أمنية الألمعي» و«تفصيل النشأتين» للراغب الأصفهاني و«الفوز الأصغر» لمسكويه[٢].

وأفاد العلامة الباني أن منها «بلاغات النساء» لأحمد بن طيفور، وأرشد من أغرق في التصوف إلى «قواعد زروق» و«الروضة الأنيقة» للدميري

(١) توجيه النظر ج١ ص ٢٨.

(٢) نفس المصدر ج١ ص٢٨.

وكانت له يد بناءة في نشر كتب الشيخ الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ بأسلوب حكيم(١).

قال الباني: «كان له مهارة فائقة في حروبه الأدبية فقد اتخذ لنزع هذه القشور عن لباب الشريعة الغراء أساليب عجيبة ومن أعجبها إنه كان ينسخ أو يستنسخ كتب ابن تيمية أو ابن قيم الجوزية أو أبي شامة المقدسي وأمثالهم ممن لهم اليد الطولى في مكافحة البدع، ويبيعها بواسطة السماسرة في سوق الوراقين بثمن بخس، ثم يذيع أن الكتاب الفلاني الذي هو من النفائس والمضنون به على غير أهله قد بيع بثمن بخس منذ يومين حتى يشتهر مؤملا أن يقع في أيدي مناوئيه بالرأي فيطلعوا عليه ويهتدوا بنبراسه فيظفر رأيه برأيهم وينضووا تحت لوائه من حيث لا يشعرون)(٢).

وقال أيضاً عن رسالة «حي بن يقظان» «إن أسلوب هذه الرسالة بديع جداً في إثبات واجب الوجود، جل شأنه بالعقل والفطرة، وقد أرشدني أستاذنا الفقيد أيام الدراسة إلى هذه الرسالة وحضني على الاطلاع عليها، وأخبرني أنه نصح للمعلم جبر ضُومَط أستاذ الأدبيات العربية في المدرسة الكلية الأميركية السورية أن يطلع عليها(٣).

وكان للشيخ اهتمام كبير بعلم التاريخ على اختلاف مناحيه: تاريخ أحداث ووقائع وتاريخ دول، وتاريخ رجال والتاريخ «مرآة العصور الغابرة، ومرقاة الأجيال الحاضرة» وأوصى به أبو حيان بنيه: عليكم بمطالعة التواريخ فإنها تلقح عقلاً جديداً. فمن أجل هذا عني الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بإحياء التاريخ وإرشاد المسترشدين وغيرهم إلى مزاولته ودراسته وإمعان النظر به وبفلسفته والدلالة على كتبه المفيدة والسعي وراء نشرها وطبعها(٤).

---

(١) توجيه النظر ج١ ص٢٨.
(٢) نفس المصدر ج١ ص٢٨.
(٣) نفس المصدر ج١ ص٣٠.
(٤) نفس المصدر ج١ ص٣٠.

ومن مواقفه الدالة على حبه نشر آثار الأسلاف: ما حكاه الأستاذ كرد علي قال: «حدث أن صديقه الأستاذ أحمد زكي باشا نال بواسطة أحمد حشمت باشا وزير معارف مصر اعتماداً بعشرة آلاف جنيه لطبع مجموعة من الكتب العربية القديمة النادرة تبلغ فيما أذكر سبعة وعشرين كتاباً، ومنها ما يدخل في بضعة مجلدات. فتباطأ زكي باشا في الطبع. ومضت السنة فقيد المبلغ في نظارة المعارف على حساب السنة المقبلة ولم يخرج الباشا شيئاً وهكذا حتى ألغي الاعتماد باستقالة حشمت باشا.

فغضب الشيخ غضبة مضرية من عمل زكي باشا وصارحه بقوله: لقد أسأت إلى الأمة العربية بإبطائك في إخراج الكتب للناس، وإذا ادعيت أنك تقصد نشرها سالمة من الخطأ مشفوعة كلها باختلاف النسخ والتعاليق فالتأنق لا حد له، ويكفي أن ينتفع الناس بالموجود، وظل الشيخ أشهراً لا يكلم صديقه الزكي إلا متكلفاً كأنه عبث به، وحمل الضرر إلى مصلحته مباشرة وأيُ مصلحة أعلَقُ بقلبه من نشر آثار السلف»[(١)].

ومن سماته العلمية أيضاً: حبُه الاستفادة من مدنيات الأمم الأخرى غير المسلمة فالثقافة والعلم أمر مشترك بين الجميع فكان يحب أن يفيد الأمم الأخرى بحضاراتنا وعلومنا، ويحب أن يستفيد هو والأمة المسلمة أيضاً من علومهم وثقافاتهم على أن لا يكون ذلك على حساب الإسلام ودون تعقل فالتبعية عند الشيخ ـ رحمه الله ـ غير واردة[(٢)].

كتب إلى تلميذه كرد علي رسالة يقول فيها: «إن الاقتباس من الأمم المترقية دليل على النباهة لا كما يظن البُلْه من أن في الاقتباس غضاضة ونريد بالاقتباس ما يشعر به هذا اللفظ من تلقي الأمور النافعة[(٣)] لا كما يظنه

---

(١) توجيه النظر ج ١ص٣١.

(٢) توجيه النظر ج ١ ص ٣١.

(٣) يقول العلامة عبدالفتاح أبو غدة: كأن الشيخ ـ رحمه الله ـ يشير إلى المعنى اللغوي ففي «المسند» للإمام أحمد ١٢٦/٤/١٢٧ أن عبدالرحمٰن بن عمرو السُلمي وحُجر بن حُجر قالا: أتينا العرباض بن سارية وقلنا: «أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين» فحدثهم=

المتكايسون من أن الأمم الراقية ينبغي أن يؤخذ منها كل شيء حتى أدّاهم الأمر إلى أن يقلدوهم في الأمور التي يودون هم أن يخلصوا منها».

فالشيخ رجل علم لا يصده عن تحصيله والاستهداء به وصف مصدره شرقي أو غربي كما أن الحكمة ضآلة المؤمن أنّى وجدها التقطها.

وهو داعية إلى العلم لا يمنعه عن تقديمه إلى فلان وفلان ما دام يجد عندهم قبولاً لقوله، وإصغاء لنصحه(١).

«كان ـ رحمه الله ـ من علماء الاجتماع والعمران لتوغله بأدب الإسلام وتاريخه السياسي والإداري والعمراني وكل ما له مساس باجتماعياته ووقوفه على طبقات أهله من الأمراء والوزراء والفلاسفة والعلماء وخاصته وعامته واطلاعه على أسباب ارتقاء دوله وانحطاطها أو انقراضها ووقوفه على أحوال الأمم السائرة القديمة والحديثة واطلاعه على كل ما يترجم عن مدنية الغرب وسياسته واجتماعياته واحتكاكه بعلمائه المستشرقين وتبادله الاستفادة بينه وبينهم حيث كان يقتبس منهم ما ينفع المسلمين ويقبسهم ما يثبت سماحة الإسلام ومدنيته ومجد المسلمين وتمدنهم(٢).

وهذا ما جعله في عداد حلقات السلسلة التي تصل الشرق بالغرب كما شهد له بذلك علماء الشرق المستغربون وعلماء الغرب المستشرقون . . .

وكان بينه وبينهم صداقة يراسلهم ويراسلونه على اختلاف قومياتهم من إنكليز وفرنسيس ومجر وألمان وطليان وأسبان ونمساويين وهولنديين وسويديين(٣).

= بحديثه المشهور: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قال ابن الأثير في «النهاية» ٤/٤ في تفسير «مقتبسين» أي: «طالبي علم» أي مسترشدين بعلمك كما يسترشد السالك في الظلمة بنور قبسة نار يحملها في مشعله. ـ توجيه النظر ص٣١.

(١) نفس المصدر ج١ ص ٣١ و٣٢.

(٢) نفس المصدر ج١ ص ٣٢.

(٣) نفس المصدر ص٣٢.

نخص بالذكر منهم أمثال «كولير المجري الأخصائي في الملل والنحل» و«هرتن الألماني أستاذ الشرق بجامعة بون في ألمانيا» و«مرغليوث» و«براون الإنكليزيين» و«كاير موناكانو الفرنسي من كبار علماء الآثار» و«كويري الطلياني» وكلهم من المعجبين به المغتبطين بصداقته كما كان له صداقة مع «كولدزيهر اليهودي»[(١)].

ولا ريب في صحة نظر الشيخ ونُبل مقصده لكن قد يكون في تطبيقه زيادة حسن ظن بهم انفرد به عن علماء عصره، فكان بينه وبينهم منازلات وتوسع الشيخ في اتصالاته العلمية بغير المسلمين فكان يصاحب جميع علماء الفرق ويجالس المطران والحاخام وشيخ العقل ومقدم النصيرية ومجتهد الشيعة مثل ما يجالس إمام السنية والمفتي والفقيه والصوفي ويناقشهم ضمن دائرة آداب البحث ويفيدهم ويستفيد منهم ...

ولعل من دافع زيادة حسن الظن ذاك الكتاب الذي كتبه الشيخ إلى المس «بل» أمينة سر حاكم العراق وهو في أواخر أيامه بمصر وتاريخه قبل وفاته بستة أشهر ونصف وقد خص الشيخ بحفظ مسودته تلميذه الفكري محمد كرد علي بعد عودته إلى دمشق فحفظها عنده، ثم نشر صورة عنها في «كنوز الأجداد»[(٢)].

وما كان لعلماء عصره أن يتسع صدرهم لكل هذا التوسع من الشيخ فكان منهم ما عبر عنه الأستاذ الباني» اتهامه بالمروق والزندقة كما هو شأنهم مع كل مصلح مجدد. مع أنه كان صلباً في دينه لم يعهد عليه منكر ولم تؤثر عنه فاحشة أو لهو منذ نشأته إلى وفاته[(٣)].

وبهذه النزعة العلمية (الغلاّبة) للشيخ الحاملة على الاستفادة والإفادة من مختلف المنازع والطوائف كان يقول: «لو طلب مني اليهود أن أعلمهم ما تأخرت ساعة عن إجابة طلبهم، لأن في تعليمهم تقريباً لهم منا، مهما كانت المباينة والفوارق بيننا وبينهم»[(٤)].

---

(١) توجيه النظر ص٣٢.
(٢) نفس المصدر ص٣٣.
(٣) نفس المصدر ص٣٣/٤.
(٤) نفس المصدر ص٣٤.

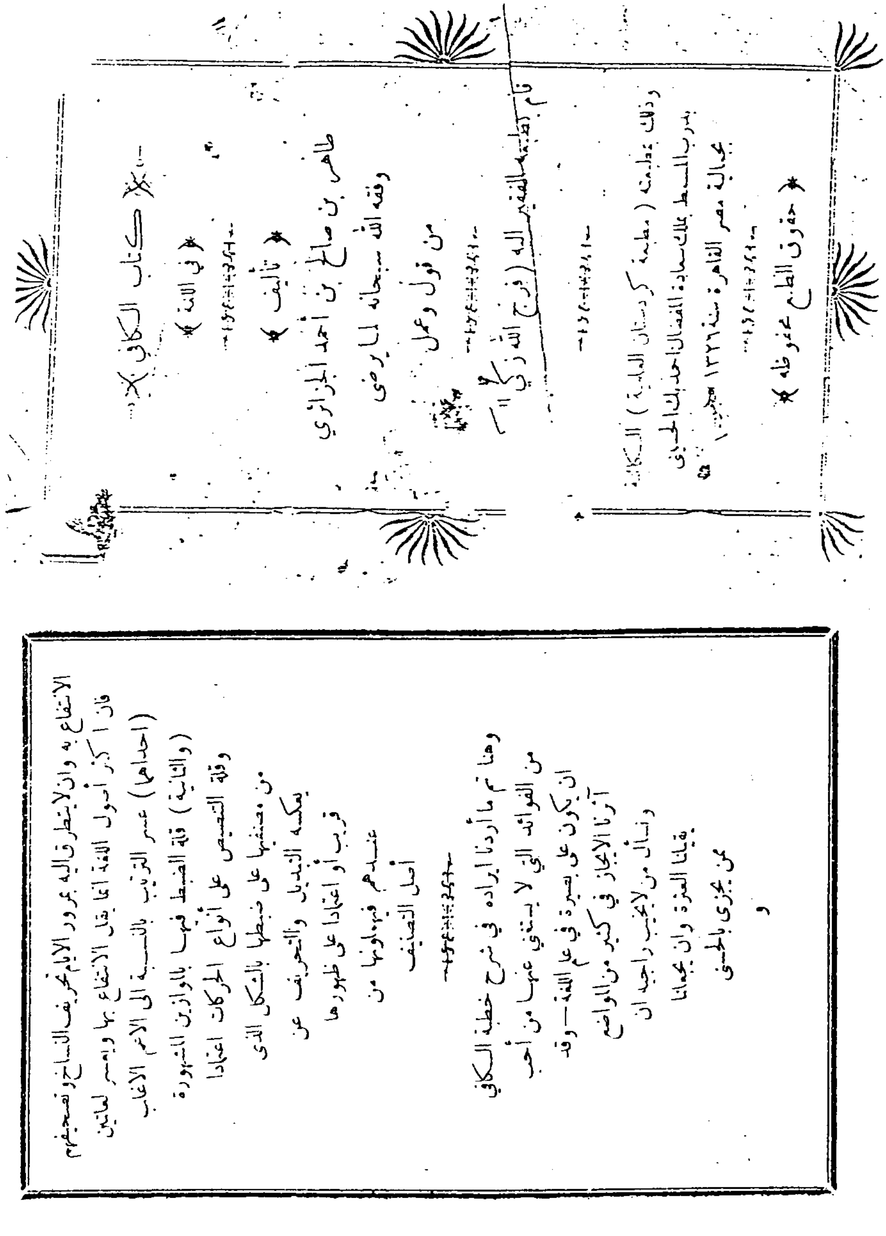
وقد شهد له الأستاذ كرد علي بأنه «صحب بعض الزنادقة وما زال يصبر على ما ينبو عنه سمعه من تصريحه وتعريضه وما فتئ يلقنه أفكاره بالتؤدة مدة، حتى عاد به إلى حظيرة الدين وهو لم يشعر ـ فيما أحسب ـ بما دخل على عقله من التبدل وصحب كثيراً من غلاة الشيعة والطوائف الباطنية فما برح يتلطف بهم حتى أضعف من غلوائهم وأبدلهم بعد الجفوة أنساً وغير من انقباضهم وانقباض الناس عنهم ليعيشوا في هناء وسط المجتمع الإنساني الأكبر»

فالشيخ ـ رحمه الله ـ يمثل بهذا الخُلُق: «الداعية الصابر» الذي يقدم نفسه وسمعته (كبش فداء) في سبيل وصوله إلى غرضه وتحقيق أمنيته: الوصول إلى أكبر قدر ممكن من العلوم والمعارف أياً كان مصدرها وإيصال العلوم والمعارف الإسلامية إلى أي إنسان كان، عسى أن يستنير بنور الإسلام، فإن لم يصل معه إلى المقصود الأعظم فليكن إلى أكبر قدر ممكن[١].

«فكثيراً ما كانت صلاته بعلماء المشرقيات باعثة على تخفيف حملاتهم على الإسلام ولو قليلاً وهذا مما كان يهتم له» كما أنه أدخل النور على كثير من أذكياء العلماء من أصحابه ـ رحمه الله تعالى وأحسن إليه كفاء نيته في دار كرامته»[٢].

(١) توجيه النظر ص٣٤.

(٢) نفس المصدر ص٣٤.



كتاب الكافي
في اللغة
تأليف
طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري
وفقه الله سبحانه لما يرضى
من قول وعمل
قام بطبعه الفقير إليه (فرج الله زكي الكردي)
وذلك بمطبعة (مطبعة كردستان العلمية) الكائنة
بدرب المسمط بملك سعادة الفضال أحمد باشا الحسيني
بجمالية مصر القاهرة سنة ١٣٢٦ هجرية
حقوق الطبع محفوظة

الانتفاع به وإن لا يتطرق إليه بمرور الأيام تحريف النساخ وتصحيفهم
فإن أكثر أصول اللغة إنما قل الانتفاع بها [illegible] لأمرين
(أحدهما) عسر الترتيب بالنسبة إلى الأمر الأغلب
(والثانية) قلة الضبط فيها بالموازين المشهورة
وقلة التنصيص على أنواع الحركات اعتمادا
من مصنفيها على ضبطها بالشكل الذي
يمكنه التبديل والتحريف عن
قرب أو اعتمادا على ظهورها
عندهم فيهملونها من
أهل التصنيف

وهنا تم ما أردنا إيراده في شرح خطبة الكافي
من الفوائد التي لا يستغني عنها من أحب
أن يكون على بصيرة في علم اللغة — وقد
آثرنا الإيجاز في كثير من المواضع
ونسأل من لا يخيب راجيه أن
يقيلنا العثرة وإن يحمدنا
عن يجزي بالحسنى

الصفحة الأولى
والأخيرة من الكتاب

كِتابُ الكافي في اللّغة

للإمام العلاّمة الشّيخ طاهر الجزائريّ الدّمشقي
وُلِدَ سَنَة ١٢٦٨هـ وتُوفي سَنَة ١٣٣٨هـ
رحمهُ الله تعالى

تحقيق وتقديم
أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري

خطبة الكافي

الحمد لله الذي خلق الإنسان ـ علمه البيان ـ وميزه بذلك على سائر أجناس الحيوان. والصلاة والسلام على أفصح الأنبياء بياناً ـ وأوضحهم حجة وبرهاناً ـ أحمد(١).

(١) أحمد[1] الذي يحمد وهو اسم التفضيل أن يبنى من الفاعل فإذا قيل زيد أشكر.. فإن المراد به إثبات كونه شاكراً وأنه يفضل على غيره في ذلك ولا يجوز أن يكون المراد إثبات كونه مشكوراً وأنه يفضل على غيره في ذلك، وأجاز الكوفيون أن يبنى من المفعول واستشهدوا على ذلك بنحو أشغل وأحبّ، وأجاب عنه البصريون بأن هذا شاذاً فيقصر فيه على ما سمع. وقد حاول بعض العلماء نصر الكوفيين حين أراد أن يجعل أحمد بمعنى الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره ليكون أحمد كمحمد في المعنى فإنهما وإن كانا علمين ففيهما إشارة إلى الصفة فمحمد هو الذي يحمد كثيراً لكثرة الخصال التي يحمد عليها.

وأحمد هو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره لزيادة خصاله المحمودة على غيره ممن تحمد خصاله، وعندي أن مذهب البصريين أقوى، وأما أحمد فقد ورد عن العرب استعماله بالوجهين ـ ومنه قولهم «العود أحمد» فإن معناه الابتداء محمود، والعود أحق بأن يحمد، ويجوز أن يكون المعنى ابتداء المعروف جالب للحمد إلى نفسه والعود أجلب له قال زيد الخير[2]:

---

[1] القاموس المحيط ج١ ص٢٨٧.

[2] هو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضا بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن مالك بن نابل بن نبهان، واسمه سودان بن عمرو بن الغوث الطائي النبهاني المعروف بزيد الخير وكان من المؤلفة قلوبهم ثم أسلم وحسن إسلامه وفد على النبي ﷺ في وفد طيىء سنة تسع وسماه النبي ﷺ زيد الخير. ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٢ ص٢٥٦ حرف الزاي والشعر والشعراء ص١٩١ ـ والمعارف لابن قتيبة ص١٨٧ ـ.

من أرسله لإرشاد الخلائق ـ إلى أسنى الحقائق ـ وعلى آله الكرام البررة ـ الذين اقتفوا أثره. ـ وصحبه أعلام العلم والهداية ـ الذين كان لهم في نشر آثاره أسمى عناية. ـ وعلى التابعين لهم بإحسان ـ ما أعرب عما في النفس لسان.

(أما بعد): فلما كان للغة العربية الشأن الذي لا يجهل أقبلت وجوه العلماء الأعلام عليها ـ وجعلوا وجهتهم تمهيد السبيل إليها(١). ـ كي لا يحُلأَ عن مواردها العذبة وارد ـ ولا يدرأ عن معاهدها الرحبة قاصد(٢) فبينوا قواعدها وأحكامها ـ ورفعوا أعلامها. وأفردوا كلا من حالي الأفراد والتأليف بالبيان ـ حتى كاد بيانهم يكون بمنزلة العيان ـ ونقبوا في البلاد عن شواردها ـ وجعلوا أسفارهم قيد أوابدها(٣) وأبرزوا في ذلك مصنفات مختلفة الأصناف ـ.

وأحسنت والإحسان منك سجية فإن عدت بالإحسان فالعود أحمد[3]

وأحمد في هذه الخطبة وصف يشير إلى الاسم وهو يحتمل الوجهين على السواء.

(١) الوجه[4]: وجمعه وجوه وأوجه، والوجه الوجيه وجمعه وجوه ومنه قدمت وجوه القوم أي ساداتهم ووجهاؤهم، والوجهة بالكسر القبلة والجهة وكل مكان استقبلته.

(٢) حلأه[5]عن الماء تحلئة وتحليئاً صده عنه ومنعه من وروده، وورد الماء وروداً بلغه ووافاه، والموارد جمع مورد وهو موضع الورود، ودرأته عن الشيء دفعته عنه، والمعاهد جمع معهد وهو المنزل الذي لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه، والموضع الذي كنت تعهد به شيئاً، والرحب الواسع تقول بلد رحب وأرض رحبة.

(٣) نقبوا[6] في البلاد ذهبوا فيها وجالوا في كل مجال ونقبوا عن الأمر ونقروا بحثوا عنه، والنقاب ككتاب الرجل العلاّمة ونقيب القوم.

ضمينهم وعريفهم قيل له ذلك لأنه ينقب عن أسرارهم ويعرف دخيلة أمرهم. والشوارد هي اللغات الغريبة عند الاسماع لقلة تداولها على الألسنة واستعمالها في المحاورات وهي جمع شاردة وأصل الشرود النفرة يقال شرد البعير شروداً وشراداً إذا نفر فهو شارد. وأبدت البهيمة توحشت في آبدة وهن أوابد، وأبد الشاعر أتى بالعويص في شعره، وأوابد الكلام غرائبه، وأوابد الشعر هي التي لا تشاكل جودة.

---

[3] لم أقف على الرجز فيما عندي من مراجع.

[4] المصباح المنير مادة «وجف» ص ٦٤٩.

[5] نفس المصدر مادة «حلا» ص١٤٩. والعين ص٣٤٤.

[6] نفس المصدر مادة «نقذ» ص٦٢٠.

مشحونة بصحاح الجواهر ممتازة عن الأصداف(١)، ودعوا الناس إليها دعوة تامة ـ لتكون مَأْدُبة الأَدَبِ لهم عامة(٢).

ثم اجتهدوا في فقه اللغة فأوضحوا أصوله المحكمة ـ وشرحوا فصوله المبهمة(٣) حتى ظهر ما بهر من سرها الخفي ومن خصائصها المونقة لمن هو

---

(١) أراد بصحاح الجواهر اللغات الصحيحة الفصيحة وأراد بالأصداف ما سوى ذلك وكتب اللغة بهذا الاعتبار ثلاثة أنواع:
ـ **النوع الأول**: الكتب التي اقتصر فيها مؤلفوها على الجواهر الصحاح.
ـ **والنوع الثاني**: الكتب التي ذكر فيها مؤلفوها النوعين غير أنهم ميزوا أحدهما عن الآخر فلم يقع في كتبهم التباس وهؤلاء كأرباب النوع الأول ممن استوجب الثناء الجم من الناس وإلى هذين الفريقين تشير هذه الفقرة.
ـ **والنوع الثالث**: الكتب التي مزج مؤلفوها بين النوعين فكدروا على الناظر مورد العين وهؤلاء لم يخلهم من ملام من أولع بتهذيب الكلام.

(٢) الأدب[7] أدب النفس وأدب الدرس، تقول منه أُدب الرجل.
بالضم فهو أديب، والمأدبة الطعام الذي يصنعه الرجل يدعو إليه الناس، وهي بضم الدال، وأجاز بعضهم فيها الفتح وقال بعضهم: هي بالفتح مفعلة من الأدب، وفي حديث ابن مسعود: «القرآن مأدبة الله في الأرض»، شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيها خير ومنافع وجمعها مآدب وأدب الرجل القوم أدباً من باب قصد صنع لهم طعاماً ودعاهم إليه فهو آدب قال طَرَفَة[8]:
نحن في المشتاة ندعو الجَفَلى   لا ترى الآدب فينا ينتقِر[9].
أي لا ترى الداعي يدعو بعضاً دون بعض بل يعمهم بدعوته، وجمع الآداب أدبة مثل «كاتب» و«كتبة».

(٣) في اللغة ألفاظ تختص ببعض المواضع لا يجوز نقلها إلى غيرها وتسمى معرفة ذلك

---

[7] المصباح المنير مادة «أدب» ص ٩.

[8] هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وهو الحصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهو أشعر الشعراء بعد امرىء القيس مات سنة ٧٠ قبل الهجرة و٥٥٠ أو ٥٥٢ للميلاد ـ شرح المعلقات العشر ص٤٣/٤٩ ـ والشعر والشعراء ص١١٤. ومعجم الشعراء ص ٢١/٢٢.

[9] البيت في ديوان طرفة بن العبد ص ٥٥، وشرح أدب الكاتب ص١٩ وص ١٦٩ وكتاب المعاني الكبير ج١ص٣٧٧ والكامل ص٤٨١. وإصلاح المنطق ص ٢٦٨.

بها حفيّ(١) ولم يزل التأليف فيها متواتراً بقدر الإمكان مرعياً فيه حال الزمان والمكان(٢) والناس لهم بما ألف فيها أعظم إلف ـ حتى بلغ ذلك زهاء ألف(٣)

بفقه اللغة، وذلك مثل: «الأزهر» و«الأشهب» و«الأملح» فإن كل واحد منها يتضمن معنى الأبيض غير أن الأبيض وإن وضع بالوضع العام لكل ما فيه بياض غير أنه خص ما فيه بياض من الناس بالأزهر ومن الخيل بالأشهب ومن الغنم بالأملح فاستعمال الأبيض في هذه المواضع يعد مخالفة لحكم فقه اللغة ولا يصدر ذلك عن أديب يرعاها حق رعايتها وقد يراد بفقه اللغة ما هو أعم من ذلك كما هنا.

(١) حفي[10] به حفاوة بالغ في إكرامه والعناية بأمره فهو حفي، والحفي أيضاً المستقصي في السؤال، ومن الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[11]، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾[12]، وسر اللغة فن يبحث فيه عن اللغة كيف حدثت وكيف نمت وعن اشتقاق الألفاظ بعضها من بعض ليعلم الأصل فيها من الفرع وعن المناسبات بين الألفاظ والمعاني وعن خصائص اللغة الثابتة لها في نفسها أو المميزة لها عن غيرها وما أشبه ذلك وهو فن جليل الشأن جزيل الفائدة غير أنه بعيد المنال إلا على من سمت هممهم إليه وأقبلوا بوجوههم عليه وقد كتبنا في ذلك ما يقرب مأخذه.

(٢) لا يستغني في عصر من الأعصار عن التأليف في فن من الفنون وإن كانت المؤلفات فيه كثيرة لأن لاختلاف الأزمنة والأمكنة مدخلاً في تجدد الاحتياج إلى التأليف هذا إذا كان ذلك الفن مما لا يقبل الزيادة والنقص والتنقيح ولا يظن ذلك في فن من الفنون فإن كان مما يقبل ذلك كان الاحتياج أظهر، ولم ينقطع التأليف في عصر من الأعصار أو قطر من الأقطار إلا لقلة الرغبة في العلم لا لقلة الاحتياج.

إلى التأليف غير أن للتأليف شروطاً لا يتسع هذا الموضع لبيانها. ومن أهمها أن يكون المؤلف وافياً بما تدعو إليه الحاجة في ذلك العصر على وجه يوافق إدراك أهله.

(٣) قد ألف في اللغة ما لا يحصى من الكتب ما بين مطول ومختصر وعام في أنواع اللغة وخاص بنوع منها، ويحكى عن الصاحب بن عباد[13] أن بعض الملوك أرسل إليه

---

[10] المصباح المنير مادة «حفى» ص١٤٣.

[11] سورة مريم الآية ٤٧.

[12] سورة الأعراف الآية ١٨٧.

[13] الصاحب ابن عباد هو: إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني أبو القاسم الوزير الملقب بالصاحب كافي اكفاة ولد في ذي القعدة سنة ٣٢٤هـ أخذ عن ابن فارس اللغوي توفي ٣٨٥ هـ ـ بغية الوعاة ج ١ ص٣٧٠/٣٧١ وتاريخ أداب اللغة العربية ج١ ص ٣٠٢/٣٠٣ ـ. ألف في اللغة محيطه رتبه على حروف المعجم كثر فيه الألفاظ وقلل الشواهد ـ انظر غير مأمور اكتفاء القنوع ص ٣١٩ ـ.

ثم عرضت عوارض قضت بضعف العلم، وخفض أعلامه الشُّمّ(١). ففترت في تحصيلها الهمم ـ وتُرِك رعاية ما لها من الذمم. حتى نجم عن ذلك ما نجم ـ وكاد أهلها في إهمال لغتهم يكونون كالعجم(٢) بل جعل بعض الأغمار أمرها غير أمم ـ وعد الاشتغال بها ضرباً من اللَّمَمَ(٣) وحال ما لا يحصى من

يسأله القدوم عليه فقال له في الجواب احتاج إلى ستين جملاً احمل عليها كتب اللغة التي عندي ـ ولكثرة كتب اللغة قال صاحب «القاموس»[14] منوها بشأنه: (وكتابي هذا صريح ألفي مصنف من الكتب الفاخرة وسنيح ألفى قلمّس من العيالم الزاخرة»[15]، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى كتب طبقات اللغويين.

(١) العوارض[16] جمع عارض وهو المانع يقال عرض لفلان في طريقه عارض أي مانع من جبل ونحوه يمنعه من المضى فيه، والأعلام جمع علم بفتحتين وهو الجبل والعلامة والأثر والمنارة ومن المجاز قولهم فلان من أعلام العلم وأعلام الدين، والشم جمع أشم يقال جبل أشم أي طويل الرأس ورجل أشم أي كريم أبيّ وصله من الشمم وهو ارتفاع قصبة الأنف فاستعير للأنفة والإباء.

(٢) نجم[17] الشيء ظهر وطلع والفقرة الثانية تحتمل معنيين: **أحدهما**: أنهم بسبب إهمال لغتهم كادوا يكونون كالعجم في عدم معرفة اللغة العربية، **وثانيهما**: أنهم كادوا يصيرون كالعجم في عدم الاعتناء بلغتهم.

(٣) الأغمار[18] جمع غمر بوزن قفل وهو الذي لم يجرب الأمور، والأمم بفتحتين القرب

---

[14] يعني الإمام الفيروزآبادي صاحب «قاموس المحيط» وهو معجم لغوي اعتنى بذكر الأعلام المحدثين والفقهاء والمادة الطبية والمصطلحات وضعه أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي ولد في كارزين من بلاد فارس سنة **٧٢٩**هـ جال في البلاد الإسلامية ... أما منهجه فقد اعتمد الفيروزآبادي في قاموسه الحرف الأخير من الكلمة المجردة وسماه باباً ثم أخذ الحرف الأول منها وسماه فصلاً واعتنى بذكر الحركات الضابطة والأوزان بإيراد كلمات معروفة توافقها، ووضع رموزاً تشير إلى أمور أساسية في شرح المادة ـ معجم الجيم ص**٦٣**/٦٤ ـ. ويعرف بالقاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط ـ اكتفاء القنوع ص**٣٢٥** ـ.

[15] مقدمة القاموس المحيط ص **٧**.

[16] المصباح المنير مادة «عرض» ص**٤٠٢**.

[17] المصباح المنير مادة «نجم» ص**٥٩٤**.

[18] نفس المصدر مادة «غمد» ص**٤٥٣**.

الأحوال على هذا البلبال ـ ثم حالت تلك الحال، وأتى ما لا يخطر بالبال(١) ـ فقيض الله لها نفوساً سامية أشرفت عليها فعرفت قدرها السامي. ـ وسمت إليها ـ فرأت لها من المحاسن ما به تحكي العُرْب التي تجلّ عن المُسامي(٢)

واليسير والبين من الأمر ـ تقول أخذت ذلك من أمم أي من قرب ـ وما سألت إلا أمماً أي شيئاً هيناً قريباً ـ والضرب الصنف من الأشياء ـ. واللمم بفتحتين مقاربة الذنب وقيل هو الصغائر من الذنوب ـ واللمم أيضاً طرف من الجنون.

قال الإمام جمال الدين محمد بن مكرم بن أبي الحسن الأنصاري الإفريقي نزيل مصر في كتابه المسمى «بلسان العرب[19]» بعد أن ذكر تنافس أهل عصره في اللغة الأعجمية وعدهم من المثالب النطق بالعربية: (فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون)[20]، وكان مولده سنة ٦٣٠ وتوفي سنة ٧١١هـ.

(١) حال[21] عليه الحول مر عليه، والحول العام وجمعه أحوال والحال ما عليه الشيء والوقت الذي أنت فيه وهو مما يذكر ويؤنث وجمعه أحوال وحالات، والبلبال[22] بالفتح كالبلبلة اختلاط الألسنة وتفريق الآراء وشدة الهم والوساوس، والبلبال بالكسر المصدر، وبلبلهم بلبالاً هيجهم وحركهم، والاسم البلبال بالفتح، والبال القلب.

(٢) قيض[23] الله فلاناً لفلان جاءه به وأتاحه له، وسما[24] الشيء علا وارتفع، وسمت نفسه إلى معالي الأمور طمحت إليها ووقفت آمالها عليها، وأشرف على الشيء اطلع عليه، وحكيت عنه الكلام حكاية نقلته عنه والحكاية أيضاً اللغة، وحكيته وحاكيته فعلت مثل فعله وهيئته، والمحاكاة المشابهة وهو مجاز تقول فلان يحكي الشمس حسناً ويحاكيها، والعرب بضمتين وتسكن راؤه تخفيفاً جمع عروب وهي

[19] معجم لسان العرب معجم لغوي موسوعي يربط اللغة بالقرآن والحديث النبوي الشريف ويعتني عناية كبيرة بمسائل الصرف والنحو والمشترك اللفظي والأضداد والمترادف والأخبار والنوادر وضعه العلامة محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري المشهور بابن منظور ـ معجم الجيم ص٦٢/٦٣ ـ. واكتفاء القنوع ص ٣٢٤ ـ.

[20] لسان العرب ص ٧.

[21] معجم الأفعال المتعدية بحرف ص ٧١ مادة حال.

[22] كتاب العين ج١ ص١٦٢.

[23] المصباح المنير مادة «قين» ص ٥٢١.

[24] مختار الصحاح مادة «السماح» ص١٣٦.

فشرعوا في تجديد معاهدها ـ وتشييد قواعدها إماطة الأذى عن شوارعها ـ وإزالة القذى عن مشارعها(١) ليكون الناس شرعاً في وردها السائغ ـ وظلها السابغ(٢). ـ وإن اختلفت مشاربهم ـ وتباينت أسرابهم.

ومساربهم(٣) وقرروا درسها في المدارس ـ وأحيوا من كتبها ما كان كالرسم الدارس ـ فهبت ريحها ـ وأضاءت مصابيحها. وكاد يعود لها رونقها

المرأة المتحببة إلى بعلها والعرب بوزن قفل لغة في العرب ويجمع العرب على أعرب مثل زمن وأزمن وعلى عرب بضمتين مثل أسد وأسد، والمسامي المطاول يقال فلان يسامي فلاناً ويساجله وفلان لا يسامي وقد علا من ساماه، وتساموا تباروا.

(١) شرع[25] في الشيء شروعاً أخذ فيه، والشوارع جمع شارع وهو الطريق الأعظم الذي يسلك الناس فيه عامة، والمشارع جمع مشرعة وهي المورد ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدا انقطاع له كماء الأنهار ويكون ظاهراً معيناً، وماط الشيء وأماطه نحاه، ومنه: «**إماطة الأذى عن الطريق**»، وهو تنحية ما يؤدي فيها كالشوك والحجر ونحو ذلك، والقذى ما يقع في العين والشراب من تراب أو تبن، وما أشبه ذلك.

(٢) يقال الناس في هذا الأمر شرع أي سواء وهو بفتحتين ويسكن تخفيفاً، وساغ[26] الشراب سوغاً سهل مدخله في الحلق، وساغ له ما فعل جاز له ذلك، والورد بالكسر اسم للماء الذي يورد وللوراد وهم الذين يردون الماء، واسم للورود وهو خلاف الصدر، والسابغ الكامل الوافي يقال ثوب سابغ ودرع سابغة، وسبغت عليه النعمة اتسعت وأسبغها الله أتمها.

(٣) الأسراب[27]جمع سرب، والسرب بكسر فسكون الجماعة من الظباء والقطا والشاء وغيرها والطريق والنفس ومنه من أصبح آمناً في سربه أي في نفسه وقيل السرب هنا الأهل وهو مستعار من سرب الظباء والقطا يقال: مر به سرب وأسراب ويروى بفتح السين، أي في منقلبه ومتصرفه، والسرب بفتحتين بيت في الأرض لا منفذ له تقول اتخذ سرباً وأسراباً ونفقاً وأنفاقاً، وسرب في الأرض سروباً ذهب فيها يقال هو يسرب النهار كله في حوائجه، وفلان بعيد السربة أي المذهب، وللوحش والنعم والنحل مسارب ومسارح.

[25] انظر المصباح المنير مادة «شرع» ص ٣١٠.

[26] نفس المصدر مادة «ساغ» ص٢٩٥.

[27] المصباح المنير مادة «سرب» ص٢٧٢.

الأول ـ وخفت من كان يقول: وهل عند رسم دارس من معول(١) ولما كنت خليلاً لها أحببت أن أبدي أمارة من أمارات الخلّة ـ شفاءً لما في النفس الغُلّة(٢) فألّفت هذا الكتاب ـ على وجه يروق أولى الألباب. فذكرت فيه ألفاظ الكتاب العزيز ـ وما يتلوه من كتب الحديث والأثر (٢) وضممت

(١) يقال له: رونق[28] أي حسن وبهاء، ورونق الشباب طراءته، ورونق السيف ماؤه وفرنده، وخفت الصوت خفوتا سكن، وخفت الرجل سكت فلم يتكلم، وخفت الزرع ونحوه مات، والرسم الأثر، والجمع رسوم وارسم، ودرس المنزل دروساً عفا وخفيت آثاره، ودرس الكتاب عتق، وعول على الشيء اعتمد عليه ووثق به.
الإمارة[29] بالفتح العلامة وبالكسر الولاية ـ والخلة[30] بالضم الصداقة، والخلة بالفتح الفقر والحاجة، والخليل الصديق والجمع إخلاء وخلان، والغلة[31] بالضم حرارة العطش والجوف وكذلك الغليل.

(٢) قال بعض علماء الأثر: الخبر[32] عند علماء هذا الفن مرادف للحديث سواء لرسول الله ﷺ أو الصحابي أو التابعي من قول أو فعل أو تقرير، والأثر[33] مرادف لهما وقيل الأثر مخصوص بالصحابي فمن دونه والحديث بالنبي ﷺ والخبر أعم منهما، وهذا التفريق للمتأخرين من الفقهاء، وقال بعضهم الحديث يطلق على المرفوع والموقوف والمقطوع، فالمرفوع[34]: ما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام خاصة لا يقع مطلقه على غيره متصلاً كان أو منقطعاً، والموقوف[35]: هو ما أضيف إلى الصحابة قولاً لهم أو فعلاً متصلاً كان أو منقطعاً، ويستعمل في غيرهم مقيداً فيقال وقفه فلان على الزهري مثلاً، وفقهاء خراسان تسمى الموقوف بالأثر والمرفوع بالخبر والمحدثون يسمون جميع ذلك أثراً، والمقطوع[36]: هو ما أضيف إلى التابعي قولاً له أو فعلاً.

---

[28] أساس البلاغة مادة «رند» ص٢٥٥.
[29] التعريفات للشريف الجرجاني ص٢٨.
[30] المصباح المنير مادة «خل» ص١٨٠.
[31] نفس المصدر مادة «غل» ص٤٥١.
[32] معجم اصطلاحات الأحاديث النبوية ص ٥٩.
[33] نفس المصدر ص ١١.
[34] نفس المصدر ص١٢٢.
[35] نفس المصدر ص٣٠.
[36] معجم اصطلاحات الأحاديث النبوية ص ١٤٣.

إلى ذلك ما لا بد للأديب من معرفته وقد أوردت فيه كثيراً من الشواهد والأمثال(١) لتبقى الكلمات ممثلة في النفس وهي سالمة المبنى واضحة

«تنبيه»

لا يسوغ الاستشهاد على حكم من الأحكام بالأحاديث المذكورة في كتب اللغة ما لم يبحث عنها في كتب الحديث ويثبت صحتها وذلك لكثرة ما وقع فيها من الأحاديث التي لم تصح عند أئمة الحديث وأخف ما وقع لهم إطلاق الحديث على الموقوف وفي ذلك من الإيهام ما لا يخفى على أولي الأفهام.

(١) قال أهل العربية: الشاهد ما يؤتى به لإثبات القواعد النحوية أو الألفاظ اللغوية أو ما أشبه ذلك من كلام الله تعالى أو حديث النبي عليه السلام أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم، وقد اختلف في الاستدلال بالحديث لما ذكره الجلال السيوطي[37] في «الاقتراح»[38] قال: (و أما كلامه ﷺ فيستدل منه بما ثبت انه قاله على اللفظ المروي وذلك نادر جداً وإنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضاً، فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى وقد تداولها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت إليه عبارتهم فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ولهذا نرى الحديث الواحد في القصة الواحدة مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة ومن ثم أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث)[39] ثم نقل عن أبي الحسن بن الضائع[40] أنه قال في شرح «الجمل»[41]: تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه[42] وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث واعتمدوا

---

[37] جلال الدين السيوطي هو: عبدالرحمٰن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري، إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف، ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفي سنة٩١١هـ ـ معجم الأعلام ٣٩٥.

[38] هو الاقتراح في أصول علم النحو.

[39] الاقتراح ص ٢٩ فصل (الاحتجاج بالحديث النبوي).

[40] هو علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي الإشبيلي أبو الحسن المعروف بابن الضائع قال عنه السيوطي توفي سنة خمس وعشرين ربيع الآخر سنة ثمانين وستمائة ـ بغية الوعاة ص٢١٧.

[41] قال عنه السيوطي: (له شرح الجمل، وشرح سيبويه جمع فيه بين شرحي السيرافي وابن خروف باختصار حسن)ـ بغية الوعاة ص٢١٧.

[42] هو عمرو بن عثمان بن قنبر، وهو من موالي بني الحارث بن كعب من أهل فارس وقبره بشيراز قصبة فارس، وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل وألّف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو ـ مراتب النحويين ص ٧٣.

المعنى - وليقف على منهاج البلغاء في تأليف الكلام من أراد ان ينحو نحوهم(١). وقد اجتنبت فيه غريب اللغة ووحشيها إلا أن يدعو إلى ذلك داع(٢) ولم آل جهداً في توخي أقرب العبارات إلى الفهم - وأبعدها عن

في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي ﷺ لأنه أفصح العرب»[43].

(١) إن ذكر الكلمة مقرونة بالشاهد من أسباب رسوخها في النفس وبعدها عن اللبس وقد اعتنى المتقدمون بذكر الشواهد وأكثرها من النظم وبعضها من ضروب الأمثال وما جرى مجراها وفائدتها إثبات الكلمة وبيان بعض مواقعها والتوقيف على منهاج العرب في تأليف الكلام، وبهذا يعرف التقصير في قول القائل: (إنما احتيج إلى الشاهد لإثبات الكلمة فإذا ثبتت بالشاهد استغنينا عنه فيما بعد).

(٢) وحشى[44] اللغة وحوشيها الغريب المشكل منها وهو الذي يخفي معناه على أكثر من يسمعه ويحتاج الطالب له إلى أن ينقب عنه في كتب اللغة المبسوطة لعله يعثر عليه فيها، وغرابة الكلمة مما يخرجها عن دائرة الفصاحة إلا أن لا يقوم مقامها غيرها وفي الغريب مباحث لا يحتملها هذا الموضع والدواعي لذكر شيء من غريب اللغة في مثل هذا الكتاب مختلفة كثيرة، فمنها أن تكون الحاجة في ذلك الزمان أو المكان قد دعت إليه، فبها يصير كأنه غير غريب وبفقدها يصير غير الغريب كأنه غريب.

ومنها أن يكون ذلك الغريب قد ورد مثل أو قصة غريبة أو ذكره علماء الصرف أو اللغة شاهداً لشيء مما لا يسع الأديب جهله، وفي كتب اللغة المتداولة كثير من الكلمات الغريبة قد اتخذت ميزاناً لغيرها فيضطر إليها لا لذاتها بل لمعرفة ما وزن بها فإذا ذكر ضبطها لزم بيان معناها بطريق العرض إذ لا يسوغ للطالب أن يزن الكلمات المحتاج إليها بكلمة لا يعرف معناها وإن عرف مبناها وذلك «كصرد» و«جمزى» و«زبرج»، قال الخليل[45]: (لا يصل أحد من الناس إلى ما يحتاج إليه من العلم إلا بتعلم ما لا يحتاج إليه)، فقال بعض الواعين: (لهذه الحكمة الباهرة إن كان لا يوصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج إليه فقد صار ما لا يحتاج إليه محتاجاً إليه).

ومنها أن تذكر الكلمة الغريبة للإشارة إلى أنها نشأت عن غيرها بطريق القلب أو

---

[43] الاقتراح ص٣١.

[44] المصباح المنير مادة «حشا» ص١٣٨.

[45] هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبدالرحمٰن البصري الفراهيدي الأزدي النحوي اللغوي الزاهد، له المصنفات المشهورة منها كتابه العين، وهو أول من اخترع العروض والقوافي مات سنة سبعين ومائة أو خمس وسبعين.- البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص٧٦.

الوهم(١) مع رعاية حسن النسق بإيراد كل شيء في أحسن مواضعه بقدر الإمكان(٢)

الإبدال أو نحو ذلك ومثل هذا لا يحتاج فيه إلى إسهاب يحرج به صدر من لا يحتاج إلى ذلك ولمثل هذه النكتة قد ذكرت كلمات من الغريب للإشارة إلى أن مادتها موجودة في اللغة العربية مع عدم الإسهاب فيها.

(١) الجهد[46] الوسع والطاقة وهو بالضم في لغة الحجاز وبالفتح في لغة غيرهم، وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[47]، وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة، والجهد مصدر جهد في الأمر، من باب نفع إذا طلب حتى بلغ غايته في الطلب وهو بالفتح ليس غير وإلا، قصر تقول فلان لا يألوك نصحاً أي لا يقصر في النصح، توخى الشيء نحاه وطلبه.

(٢) النسق[48] بالسكون مصدر نسق الكلام إذا عطف بعضه على بعض ونسق الدر نظمه والتنسيق التنظيم، والنسق بفتحتين المنسوق يقال در نسق ومنسوق ومنسق إذا كان منظماً، ومن المجاز: ثغر نسق[49] إذا كانت أسنانه مستوية، وكلام نسق إذا جاء على نظام واحد، وحسن النسق مما يطلب في كتب اللغة وغيرها من الفنون لعظم فائدته، وأكثر من ألفوا في أول الأمر لم يلتزموه لانصراف هممهم إلى المقصد الأول وهو أمر الجمع، فهم معذورون في ذلك وأما من بعدهم فلا يعذرون لأنهم قد كفوا مؤنة الجمع فيجب عليهم رعاية حسن الوضع، ولما ذكر ابن سيده[50] أن من مزايا كتابه «المخصص» الموضوع على الأبواب رعاية حسن الوضع قال: (وإنما أنبأت بحسنه من قِبَل وضعه لأنه باب من العلم عظيم، ونوع منه جسيم فينبغي أن يعني به ويرتاض، فإن المهارة به والوقوف عليه كثير الغناء في العلم بالتأليف، كما إغفاله والجهل به عظيم المضرة في ذلك)[51].

وهنا أمر مهم وهو أن كثيراً من الكلم يتجاذبها مواضع يناسبها كل واحد منها من وجه

---

[46] المصباح المنير مادة «جهد» ص ١١٢.

[47] سورة التوبة الآية ٧٩.

[48] المصباح المنير مادة «نسك» ص٦٠٣.

[49] أساس البلاغة مادة «نسل» ص٦٣٠.

[50] هو أبو الحسن اللغوي من أهل مرسية، كان ناظماً ناثراً قليل النظير قرأ الغريب المصنف على أبي عمر الطلمنكي فما أخلّ فيه بلفظ وكان منقطعاً إلى الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبدالله العامري، توفي رحمه الله سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ـ البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص١٢٠/١٢١.

[51] انظر مقدمة المخصص ج١ ص ١٢ ومن أراد المزيد حول مزايا كتاب المخصص فعليه بكتاب جسم الإنسان في معاجم المعاني ـ دراسة تحليلية لغوية ـ من ص١٤٤ إلى ص١٦٨.

غير أني لم أتعد أقوال الأئمة الذين يعول في اللغة عليهم(١) وقد فرقت فيه بين الفصيح والأفصح ـ ليأخذ الناظر في نفسه بما هو الأرجح(٢) ويدع غيره

وهناك الحيرة ولا مخلص من ذلك إلا بترجيح أحد المواضع بوجه من وجوه الترجيح التي تظهر للمؤلف إذ لا طريق هنا للوقف.

(١) عدا[52] الشيء وتعداه يجاوزه إلى غيره قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[53]، وقد أشار بهذه العبارة إلى إنه لا يسوغ التصرف في عبارات أئمة اللغة لما فيه من الخطر، وقد فعل ذلك بعض من ألف في اللغة فتصرف في عباراتهم قاصداً جمع المواد الكثيرة في الألفاظ اليسيرة لينسخ بكتابه كتاب «الصحاح»[54] فصار كتابه بما فيه من فرط الإيجاز كأنه من كتب الألغاز مع ما فيه من خلط الفصيح بغيره وغير ذلك مما زاد النبهاء رغبة في «الصحاح»[55] وقد قال فيه بعض النقاد: (جرت عادته في هذا الكتاب غالباً أن يفسر المادة بعبارة يخترعها من عنده)، وصاحب «الصحاح» يأتي بها بالعربي الفصيح ولا يخفى أن التصرف في اللغة غير معهود ولا يخلو غالبا من عدم المساواة لاسيما إذا كان المفسر غير عربي خالص.

(٢) ينقسم ما روي من اللغة إلى صحيح، وغير صحيح، وينقسم الصحيح إلى فصيح وغير فصيح، وقد بين علماء اللغة كل ذلك في كتبهم بحيث يعرف منها الصحيح من غير الصحيح والفصيح من غير الفصيح، وقد أهمل ذلك بعض من ألف فيها فوقع الالتباس لكثير من الناس غير أن الراغب في التمييز لا يعدم مرشداً يرشده إلى ما أراد من ذلك..
والفصاحة في الكلمة هو أن تكون على السنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدور واستعمالهم لها أكثر، قال الزبيدي[56] في «طبقات النحويين» (قال ابن نوفل:

---

[52] المصباح المنير مادة «عدا» ص٣٩٧.

[53] سورة البقرة الآية ٢٢٩.

[54] يعرف بتاج اللغة وصحاح العربية ويعرف أيضاً بالصحاح.

[55] هو معجم لغوي وضعه الإمام اللغوي أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المشهور بأنه أول من حاول الطيران ومات في سبيله وذلك في نيسابور سنة ٣٩٣هـ أما منهجه فقد رتب مواد الصحاح وفق الحرف الأخير من الكلمة المجردة معتمداً نظام الباب والفصل ـ معجم الجيم ص ٥٧ ـ.

[56] هو محمد بن الحسن بن عبدالله بن مذحج بن محمد بن عبدالله بن بشر، أبو بكر الزبيدي الإشبيلي النحوي صاحب طبقات النحويين قال ابن الفرضي كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة... مات يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة ٣٧٩ وقال ابن بشكوال في جمادى الأولى سنة ٣٩٩ وقال الحميدي قريباً من سنة ٣٨٠ ـ بغية الوعاة ج١ ص٧٣ ـ.

في دعه ـ حيث كان في الأمر سعه ـ وأرجو أن يكون هذا الكتاب على ما

سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء[57] أخبرني عما وضعت مما سميت عربية أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال: أحمل على الأكثر وأسمّي ما خالفني لغات)[58]، وقد أبان ثعلب[59] في أول كتابه المسمى «بالفصيح» على أن مدار الفصاحة على كثرة استعمال العرب للكلمة قال: (هذا كتاب اختيار الفصيح مما يجري في كلام الناس وكتبهم فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها فأخبرنا بصواب ذلك، ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهن، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى فأخبرنا بهما)[60]، وإذا تفاوتت رتب الفصيح قيل فصيح وأفصح مثاله قول صاحب ديوان الأدب الحبر العالم وهو بالكسر أفصح لأنه يجمع على أفعال والفعل يجمع على فعول، ويقال هذا ملك يميني وهو أفصح من الكسر وأفصح العرب قريش وأفصح الكلام ما ورد في الكتاب قال ابن خالويه[61] في «شرح الفصيح»: (قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة

[57] هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان وله أخ يقال له: أبو سفيان وزعم النسابون أن اسميهما كنيتاهما، وهما من مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، قال الخليل: فكان عبدالله يقدم على أبي عمرو في النحو وأبو عمرو يقدم في اللغة. مات سنة أربع وخمسين ومائة وكانت وفاته في طريق الشام. ـ مراتب النحويين ٢٧/٢٨/٢٩/٣٠/٣١/٣٢ـ وذكره الزبيدي في الطبقات ص ٣٥ ـ.

[58] لم أقف على قول ابن نوفل في كتاب طبقات النحويين واللغويين بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط: دار المعارف ـ مصر ـ ولعل طاهر الجزائري اعتمد على نسخة أخرى مخطوطة. يوجد فيها قول ابن نوفل. والله اعلم.

[59] هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار الشيباني أبو العباس ثعلب إمام الكوفيين بغدادي وله معرفة بالقراءات روى عنه أبو محمد اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش وابن بشار الأنباري وعبدالرحمٰن بن محمد الزهري وأبو عمر الزاهد وغيرهم، توفي سنة٢٩١هـ. البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص٤٨.

[60] الفصيح لأبي العباس ثعلب ص٤٥.

[61] هو الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبدالله النحوي الهمداني الحلبي الدار، إمام في اللغة وكان يلقب ذا النورين وله تصانيف كثيرة منها: شرح المقصورة الدريدية والبديع في القرآن الكريم وحواشي البديع في القراءات وشرح شعر أبي فراس وشرح ديوان ابن الحايك اليمني مات بحلب سنة ٣٧٠هـ ـ البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ٦٩ ـ.

فيه من الإجمال ـ كافياً فيما قصدت إليه من غير إخلال(١) فاني غصت

إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لا خلاف في ذلك) ذكر الجلال السيوطي في «الإتقان» نقلاً عن بعض الشيوخ أنه قال: (إنه أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح للعرب أن يقرؤه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب ولم يكلف أحد منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقة ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد)[62]. قال بعض العلماء: كان ذلك رخصة في أول الأمر ثم نسخ ذلك بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ.

تنبيه: إذا قرئت كلمة من كلمات الكتاب العزيز بوجهين فأكثر، وكان ذلك ثابتاً عن الأئمة الذين يرجع إليهم في ذلك عد ذلك كله فصيحاً، ولا يسوغ ترجيح أحد الوجهين أو الأوجه على غيره ترجيحاً يكاد يسقط الآخر، قال أبو جعفر النحاس[63]: (السلامة عند أهل الدين إذا صحت القراءتان أن لا يقال أن إحداهما أجود).

(١) أجمل الكلام وأجمل في الكلام لم يفصّله، وأجمل في الطلب رفق، والمراد بالإجمال هنا الاختصار والإيجاز قال ابن فارس[64] في أول «المجمل»: (أنشأت كتابي هذا بمختصر من الكلام يقل لفظه وتكثر فوائده ويبلغ بك طرفاً مما أنت ملتمسه، فاني أجملت فيه الكلام إجمالاً ولم أكثره بالشواهد والتصاريف إرادة الإيجاز)[65]،

---

[62] الإتقان في علوم القرآن ج١ ص٦٣.

[63] هو أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر عُرف بالصفار النحاس، أخذ عن الزجاج وكان واسع العلم، كثير الرواية حسن التحرير له مؤلفات بديعة منها: معاني القرآن، والكافي في النحو، وناسخ القرآن ومنسوخه، وأدب الكتاب، والمقنع في اختلاف البصريين والكوفيين، وأخبار الشعراء، مات بمصر سنة ٣٣٧ هـ ـ البلغة ص٤٧ ـ.

[64] هو أحمد بن فارس بن زكريّا بن محمد بن حبيب أبو الحسين اللغوي القزويني نجاراً الرازي داراً، كان يؤدب مجد الدولة ابن ركن الدولة ابن بويه كان شافعياً ثم صار مالكياً آخر عمره، وله مصنفات كثيرة جليلة منها: المقاييس والمجمل والتفسير وفقه اللغة ومتخير الألفاظ ـ البلغة ص٤٤، ـ لم يذكر تاريخ وفاته بالضبط فقيل سنة ٣٦٠ وقيل سنة ٣٦٩ وقيل سنة ٣٧٥ وقيل سنة ٣٩٠ وقيل أصح الأقوال ٣٩٥هـ ـ كتاب مجمل اللغة لابن فارس ص ٧ـ إشارة التعيين ص ٤٣ ـ.

[65] مقدمة كتاب مجمل اللغة ص ٣٥. وانظر علم المعاجم عند أحمد بن فارس، وانظر فن صناعة المعجم عند ابن فارس وخاصة مجمل اللغة ومبدأ الجمع، ومجمل اللغة ونظام الوضع، ـ دراسات في اللغة والمعاجم ص ٤٨٧/٤٨٦/٤٦١.

لأجله في قاموس لسان العرب لإسعاف من لهم في التحلى به أرب(١) فأجلت النظر في جواهره المختلفة الأوضاح ـ ثم استخرجت لهم من مختار صحاح مفرداتها ما هو مزهر كالمصباح(٢) ليبني على أساس البلاغة وهو في نهاية الأحكام من يريد منهم إصلاح المنطق وتهذيب الكلام. وليس لي فيه مع الجمع ـ غير الوضع ـ على وجه يلائم الطبع، فإن راقك ما فيه فاشكر لمن تقدم وقل سلام على من لم يغادر فيها من متردم(٣)، وإن رأيت فيه ما

والخلل في الشيء الفساد فيه وهو مأخوذ من الخلل الذي هو الفرجة بين الشيئين، وأخل بالشيء تركه ذا خلل، وأخل به قصر فيه.

(١) الغوص[66] النزول تحت الماء لإخراج شيء منه، ويقال لكل من هجم على شيء غامض فأخرجه غائص، والغواص الذي يكثر من ذلك. والقمس الغوص وقمسته في الماء فانقمس غمسته فانغمس، وتقول فلان يقمس حوتاً إذا ناظر من هو أعلم منه، وقاموس البحر وسطه ومعظمه وأبعد موضع فيه غوراً، ويقال: بحر قلمّس بتشديد الميم أي زاخر.

(٢) الأوضاح[67] جمع وضح بفتحتين وهو الضوء والبياض.

وزهرت النار والشمس أضاءت ويعدى بالهمزة فيقال أزهرت النار وأزهرت السراج ويقال أزهر النبت إذا ظهر زهره وزهر يزهر بفتحتين لغة فيه، وفي هاتين الفقرتين وما بعدهما إيماء إلى كتب متداولة في علم اللغة قد عظم انتفاع الناس بها، أجزل الله سبحانه الثواب لمؤلفيها ولمن اقتفى آثارهم في خدمة هذه اللغة فضلاً منه.

(٣) المغادرة[68] الترك يقال غادرت الشيء إذا تركته، وسمي الغدير غديراً لأن السيل غادره أي تركه، وردم الثلمة ردماً سدها، وردم الثوب وردمه رقعه، وتردم الثوب اخلق واسترقع فهو متردم، والمتردم الموضع الذي يرقع قال عنترة[69]:

---

[66] المصباح المنير مادة «غوص» ص ٤٥٦.

[67] أساس البلاغة مادة «وضر» ص٦٧٩.

[68] المصباح المنير مادة «غشث» ص٤٤٣.

[69] هو عنترة بن شداد، وقيل ابن عمرو بن شداد، وقيل عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد، وقال عبدالقادر البغدادي ابن قرادة بن مخزوم بن ربيعة توفي سنة ٢٢ قبل الهجرة و٦٠٠ للميلاد ـ شرح المعلقات العشر ص ١٤٣ ـ. والشعر والشعراء ص١٦٣.

راعك من خلل لا يمكن حمله على غير الخطل(١) فنبه بلطف عليه وأشر من غير أشر إليه(٢) صيانة للسان من الزلل ـ فإن أمره جلل(٣) ورتبته على حروف المعجم معتبراً فيه أوائل الكلم(٤).

(واسأل الله التوفيق لما يرضى من قول وعمل).

هـل غـادر الـشـعـراء مـن مـتـردم   أم هـل عـرفـت الـدار بـعـد تـوهـم[70].

يريد إن الشعراء لم يبقوا لأحد معنى ألا وقد سبقوا إليه، فلا يتهيأ لأحد يصلح معنى لم يسبق إليه، ثم انصرف عن ذلك فقال أم هل عرفت ... أي بل عرفت.

(١) راعه[71] الشيء روعاً أفزعه، وخطل في كلامه ورأيه خطلاً أخطأ فيه وهو باب تعب.

(٢) نبهه[72] على الشيء تنبيهاً وقفه عليه فتنبه هو عليه، واللطف في العمل الرفق فيه. والأشر[73] شدة البطر، والبطر الطغيان عند النعمة وقلة القيام بحقها.

(٣) زل[74] في منطقه أو فعله يزل بالكسر أخطأ، والجلل الأمر العظيم، والجلل أيضاً الهين اليسير وهو من الأضداد.

(٤) اعلم أن كتب اللغة نوعان أحدهما ينتقل فيه من جانب اللفظ إلى المعنى، والآخر ينتقل فيه من جانب المعنى إلى اللفظ.

فالنوع الأول[75] منهما: موضوع لمن شعر باللفظ كمن سمع لفظ الشفق أو رآه في كتاب ولكن جهل معناه أو هيئة مبناه والكتب في هذا النوع لا يحصى، وهي مرتبة على حسب المباني ليتيسر للطالب أن يجد الكلمة في الموضع المعقود لذلك المبنى ليقف فيه على المعنى.

---

[70] البيت بداية معلقة عنترة بن شداد والبيت من البحر الكامل ـ ديوان عنترة بن شداد ص١٣ ـ وجمهر أشعار العرب ص ٩٣ وشرح المعلقات السبع ص١٣٧ وشرح المعلقات العشر ص١٤٩. وأمالي القالي ص٤٨٩. وكتاب المعاني ج٢ ص٨٠٦ وج٣ ص١١٧٤. والشعر الشعراء ص١٦٤.

[71] المصباح المنير مادة «روع» ص٢٤٦.

[72] المصباح المنير مادة «نتج» ص٥٩١.

[73] نفس المصدر مادة «أشفى» ص١٥.

[74] نفس المصدر مادة «زلل» ص٢٥٤.

[75] اذكر هنا أننا اعتمدنا على هذا المرجع الذي نقوم بتحقيقه بنشر مقالاً في مجلة الحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية بعنوان «الطرق الثلاث لمعرفة ترتيب المعاجم على الحروف» العدد ٢٥٥ ص١٠٨/١٠٩ سنة ٢٠٠٣م.

والنوع الثاني منهما: موضوع لمن شعر بالمعنى كمن رأى الشفق في السماء ولكن جهل اللفظ الدال عليه، والكتب في هذا النوع قليلة لقلة عناية غير الخواص بها وهي مرتبة على حسب المعاني.

وقد ألف فيه ابن سيده[١] كتاباً جامعاً لا نظير له سماه «المخصص» كما ألف في النوع الأول كتاباً كذلك سماه «المحكم»[٢]، وقد رتبه على كتب كثيرة جعل الأول منها في الإنسان وذكر فيه جميع ما يتعلق به من خَلق وخُلق ونحو ذلك وجعل لكل نوع من ذلك عنواناً يدل عليه ليرجع الباحث عن الكلمة المجهولة التي يبتغيها من ذلك النوع إليه، والذين ألفوا في النوع الأول قد سلكوا في ترتيب كتبهم طرائق شتى.

❋ ❋ ❋

(الطريقة الأولى)[٣]
طريقة الإمام الأوحد الخليل بن أحمد في كتاب «العين»[٤].

وهو أول كتاب ألف في اللغة وسمي بذلك لابتدائه بحرف العين، فإنه

(١) هو علي بن إسماعيل بن سيده أبو الحسن اللغوي من أهل مرسية وكان أكمه ابن أكمه كان ناظماً ناثراً قليل النظير قرأ الغريب المصنف على أبي عمر الطلمنكي فما أخل فيه بلفظ، توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ـ البلغة ص ١٢١/١٢٠ ـ.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي نسبة إلى مرسية الأندلس، نحا في ترتيبه نحو كتاب تهذيب اللغة للأزهري وكتاب الهروي فجعله على ترتيب الحروف الحلقية ويؤخذ ترتيب المحكم ـ اكتفاء القنوع ص٣٢١/٣٢٠ وفي معجم الجيم اتبع فيه منهج الخليل في ترتيب كتاب العين ـ معجم الجيم ص ٥٩ ـ.

(٣) معاجم الحروف: يسير أصحاب هذا النظام في إيراد الكلم تبعاً للحروف وهم ينطلقون في ذلك على مسار ثلاثي المسلك الذي ترتب فيه الحروف على المخارج ابتداء بالحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين مع اختلاف أصحابه يسيراً في ترتيب المخارج وهم يأتون بالكلم داخل ذلك الترتيب تبعاً للأبنية مبتدئين بالثنائي فالثلاثي فالرباعي ثم الخماسي أخيراً، وهم يقلبون أحرف كل كلمة في كل بناء على الصور الممكنة فيها عوداً على بدء وتحويلاً بعد تحويل إلى أن يستنفدوا كل ما يجيء من التقاليب ـ معجم المعاجم ص ١٨٩.

(٤) انظر نقد ابن جني على كتاب العين في كتابه الخصائص ج٢ ص٤٨٤. وانظر دراسات=

رتب كتابه على الحروف وهي مسوقة على هذا الترتيب:

ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط

د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م وا ي

ولا إشكال في كتابه من جهة هذا الترتيب وإن خالف ما ألفه الجمهور في ترتيب حروف المعجم، ألا ترى أن حروف المعجم قد اختلف في ترتيبها المشارقة والمغاربة[1] ولم يعق ذلك أحد الفريقين عن الانتفاع بكتب الفريق الآخر فيما رتب على حروف المعجم كما لم يعقهما عن الانتفاع بالكتب التي رتبت على نسق أبي جاد.

وإنما أتى الإشكال فيه من جهة أخرى وهي أنه يذكر الكلمة وما ينشأ عنها بالقلب في موضع واحد فيذكر «الضرم» في حرف الضاد ويتبعها بذكر «الضمر» ثم «الرضم»، ثم «المضر»، ثم «الرمض»، ثم «المرض»، فإن أهمل شيء من أنواع القلب أشار إلى إهماله وزاد على ذلك إنه ذكر كل نوع من الصحيح والمضاعف والمهموز والمعتل على حده ليمتاز كل نوع عن غيره، وقد جرى طريقته بعض اللغويين ومنهم الأزهري[2]، وابن سيده، ولصعوبة هذه الطريقة على الجمهور الذين ليس لهم مأرب في غير معرفة أبنية الكلم ومعانيها قال صاحب «لسان العرب»: (ولم أجد في كتب اللغة أجل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي رحمهما الله فأنهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما بنيات

= في اللغة والمعاجم حول الخليل الفراهيدي أنه قد سبق علماء الأصوات في العصر الحديث بآراء أو ملاحظات تضعه في مصاف الرواد لهذا العلم للدكتور حلمي خليل ط: دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٩٨.

(١) حياة اللغة العربية ص ٣٧.

(٢) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح أبو منصور الأزهري اللغوي الهروي إمام جليل جمع فنون الأدب وحشرها ورفع راية العربية ونشرها توفي سنة سبعين وثلاثمائة وعمره ثمانية وثمانون ـ البلغة ص١٥٢/١٥٣ ـ إشارة التعيين ص ٢٩٤ ـ.

الطريق، غير أن كلا منهما مطلب عسر المدرك ومنهل وعر المسلك، وكأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً وحلّأهم عنه، وارتاد لهم مرتعاً مربعاً ومنعهم منه، قد أخر وقدم، وقصد أن يعرب فأعجم. فرق الذهن بين الثنائي المضاعف والمقلوب وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعي والخماسي فضاع المطلوب. فأهمل الناس أمرهما وانصرفوا عنهما وكادت البلاد لعدم الإقبال عليهما أن تخلو منهما، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب[١]، ثم ذكر «صحاح الجوهري» ونوَّه بحسن ترتيبه وجري عليه).

واعلم أن طريقة الخليل لها موقع عند الذين يرون أن الكلمات التي تشترك في الحروف وإن اختلفت في الترتيب لابد أن يكون لها معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها، وذلك مثل: «كلم» و«كمل» و«مكل» و«ملك» و«لكم» و«لمك»، فإن لها معنى يجمع بينها وهو القوة والشدة.

❋ ❋ ❋

(الطريقة الثانية)[٢]
طريقة الجوهري صاحب «الصحاح»

فإنه رتب كتابه على حروف المعجم على النسق المعروف في المشرق غير أنه جعل الآخر للباب والأول للفصل، فكل كلمة يكون آخرها ألف مثل «بدا» يذكرها في الباب الأول وهو باب الألف ويسميها بالألف المهموزة احترازاً عن الألف اللينة التي هي أحد حروف المد، وكل كلمة يكون آخرها باء مثل «أب» يذكرها في الباب الثاني وهو باب

(١) مقدمة لسان العرب ج١ ص٧.

(٢) معاجم على نظام التقفية: يسير أصحاب هذا النظام على الألفاظ وفق نهاياتها فمن أراد مثلاً الوقوف على لفظ بدأ طلبه في حرف الهمزة وهكذا إلى آخر الحروف، واستهدف بعض من اتبع هذا النظام أن ييسر للساجعين والناظمين الكلم التي تتقفى عليها الاسجاع. معجم المعاجم ص ٢١٦.

الباء، ولم يزل يجري على هذا الترتيب حتى وصل إلى الحرف الأخير وهو حرف الياء وقد جعل كل باب ثمانية وعشرين فصلاً جعل الفصل الأول منها لما يكون أوله همزة والفصل الثاني لما يكون أوله باء إلى أن وصل إلى الأخر غير أن بعض الأبواب قد تكون فصولها أقل من ثمانية وعشرين وهو الأكثر كباب الراء فإنه لا يوجد فيه فصل اللام لعدم وجود كلمة في العربية أولها لام وآخرها راء، وأقل الأبواب فصولاً باب الظاء فإن، فصوله ستة عشر، إذا عرفت هذا تعرف أن مثل «برى» و«بغى» يذكر في فصل الباء من باب الياء وذلك في آخر الكتاب وإن مثل «برء» و«بطء» يذكر في فصل الباء من باب الألف وذلك في أول الكتاب، وقد جرت عادته في الفصل أن يراعي ما بعد الأول في الترتيب فيقدم «سأر» على «سبر» وهي على «ستر» ويقدم «خردل» على «خزعل» و«عبقر» على «عبهر»، وقد أشار الجوهري إلى طريقته في خطبة الصحاح فقال: (الحمد لله شكراً على نواله، والصلاة على محمد وآله.

أما بعد: فإني قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله تعالى منزلتها، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها، على ترتيب لم أسبق إليه، وتهذيب لم أغلب عليه، في ثمانية وعشرين باباً وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلاً على عدد حروف المعجم وترتيبها، إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول، بعد تحصيلها بالعراق رواية، وإتقانها دراية، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية، ولم آل في ذلك نصحاً، ولا أدخرت وسعاً، نفعنا الله وإياكم به)[١].

وعلى طريقته سلك الإمام رضي الدين الحسن الصغاني[٢] في «العباب»[٣]

---

(١) مقدمة الصحاح ج١ ص٣٧.

(٢) هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي العدوي العمري الإمام رضي الدين أبو الفضائل الصغاني بفتح الصاد المهملة وتخفيف الغين المعجمة ويقال الصاغاني بالألف الحنفي حامل لواء اللغة في زمانه ولد سنة ٥٧٧هـ بغية الوعاة ج١ ص٤٣٠ ـ.

(٣) هو العباب الزاخر واللباب الفاخر جمع فيه ما تفرق في كتب اللغة المشهورة والتصانيف المعتبرة المذكورة ـ اكتفاء القنوع ص٣٢١ ـ.

و«التكملة»[١] والإمام جمال الدين في «لسان العرب».

❋ ❋ ❋

(الطريقة الثالثة)[٢]
طريقة الجمهور

وقد رتب السالكون عليها كتبهم على حروف المعجم معتبرين فيها أوائل الكلم فيذكرون في الباب الأول وهو باب الألف ويراد بها هنا الهمزة كل كلمة في أولها ألف مثل «أب» و«ألو» و«أبي» وفي الباب الثاني وهو باب الباء كل كلمة في أولها باء مثل «بر» و«بري» ولا يزالون على هذا النهج إلى أن يصلوا إلى النهاية وهي باب الياء وقد جعلوا كأصحاب الطريقة الجوهرية في كل باب فصولاً ناظرين فيها إلى ثواني الكلم فيذكرون الفصل الأول ما يكون ثانيه همزة وفي الثاني ما يكون ثانيه باء وفي الفصل الثالث ما يكون ثانيه تاء ولا يزالون على ذلك إلى أن يصلوا إلى النهاية فالحرف الأول عند هؤلاء كالحرف الأخير عند الجوهري والحرف الثاني عندهم كالحرف الأول عنده، فمثل «أبي» تذكر عندهم في أول الكتاب في فصل الباء من كتاب الألف وتذكر عند الجوهري في آخر الكتاب في فصل الألف من كتاب الياء ويقدمون بعض كلمات الفصل على بعض بالنظر إلى ما بعد الحرف الثاني فيذكرون «برج» مثلاً قبل «برح» و«برنج» قبل «برزخ» و«عندل» قبل «عندم» و«سنبك» قبل «سندس»، وعلى هذه الطريقة جرى ابن فارس

---

(١) معجم التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية هو معجم لغوي استدرك ما فات الجوهري في الصحاح... أما منهجه فقد سار على منهج الجوهري في كتاب الصحاح فرتب المواد اللغوية وفق الحرف الأخير من الكلمة المجردة معتمداً نظام الباب والفصل ـ معجم الجيم ص٦٢ ـ.

(٢) نظام الألف باء: ترتب الكلم في هذا النظام على الألف باء بدءاً بما أوله همزة فما أوله باء موحدة فما أوله تاء مثناة فما أوله ثاء مثلثة فدال مهملة ثم ذال معجمة فهلم جرا إلى الياء آخر الحروف في ترتيب الألف باء. ـ معجم المعاجم ص٢٤٢.

في «المجمل» والهروي في «الغريبين»، والراغب الأصفهاني[(١)] في «المفردات»[(٢)] والزمخشري[(٣)] في «أساس البلاغة»[(٤)] وابن الأثير[(٥)] في «النهاية».

قال صاحب «المجمل» في أوله مبيناً لسبب أمن قارئه المتدبر له من التصحيف: (وذلك أني خرجته على حروف المعجم وجعلت كل كلمة أولها همزة في كتاب الهمز وكل كلمة أولها باء في كتاب الباء حتى أتيت على الحروف كلها فإذا احتجت إلى كلمة نظرت إلى أول حروفها فالتمستها في الكتاب الموسوم بذلك الحرف فإنك تجدها مصورة في الحاشية ومفسرة من بعد[(٦)]، وقد تسمى الألف هٰهنا همزة.

وقال صاحب «الغريبين» في كتابه وهو موضوع على نسق الحروف المعجمة: (نبدأ بالهمزة فنفيض بها على سائر الحروف حرفاً حرفاً ونعمل لكل حرف باباً ونفتتح كل باب بالحرف الذي يكون أوله الهمزة ثم الباء ثم

---

(١) هو الحسين بن محمد بن المفضل الإمام أبو القاسم الراغب الأصفهاني له التفسير الكبير في عشرة أسفار. غاية في التحقيق وله مفردات القرآن، والذريعة إلى أسرار الشريعة، والمحاضرات والمقامات وغيرها ـ البلغة ص٧٠ وورد اسمه في بغية الوعاة المفضل بن محمد الأصبهاني الراغب كان في أوائل المائة الخامسة ـ ج٢ ص٢٩٧.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن هو معجم لغوي متخصص بألفاظ القرآن الكريم وشرح الكلمات الصعبة منها... وقد اهتم بألفاظ القرآن وبيان معانيها لأنه يدرك أن معاني القرآن لا تتحصل إلا بإدراك مفرداته، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته ـ معجم الجيم ص٦٠ ـ.

(٣) الزمخشري هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري أبو القاسم جار الله كان واسع العلم كثير الفضل غاية في الذكاء.. ولد في رجب سنة ٤٩٧هـ له من التصانيف الكشاف في التفسير الفائق في غريب الحديث... صميم العربية وغيرها مات سنة ٥٣٨هـ ـ بغية الوعاة ج٢ ص٢٨٤ ـ.

(٤) هو معجم لغوي متخصص بالمجاز ووجوه الإعجاز... أما منهجه فقد رتب الزمخشري مواد معجمه ترتيباً ألفبائياً معتمداً أوائل الكلام أصولاً وقسم مواده إلى قسمين الأول للمعاني الحقيقية والثاني للمعاني المجازية ـ معجم الجيم ص٦١ ـ.

(٥) انظر ترجمته في صفحة ٥٩ من تحقيقنا هذا.

(٦) كتاب مجمل اللغة ص ٣٥.

التاء إلى آخر الحروف إلا ان لا نجده فنتعداه إلى ما نجده على الترتيب فيه ثم نأخذ في كتاب الباء على هذا العمل إلى أن ننتهي بالحروف كلها إلى آخرها ليصير المفتش عن الحرف إلى إصابته من الكتاب بأهون سعي واخف طلب وقد جعل بعض المؤلفين بدل قولهم باب كذا قوله كتاب كذا، وبدل قولهم فصل كذا قوله باب كذا وربما ترك بعضهم ذكر لفظ الفصل في العنوان واكتفى بقوله الألف مع الباء مثلاً، والخطب في ذلك سهل)(١).

هذا ويجب على من أراد البحث عن كلمة في كتب اللغة أن يجردها أولاً من الزوائد إن كان فيها زائد ويعيدها إلى أصلها الأول ان عراها تغيير ثم يبحث عن الموضع الذي هو مظنة أن توجد فيه فيراجع أقبل، تقبل، واستقبل، في «قبل» و«إثمد» في «ثمد» و«منسأة» في «نسأ» و«مبراة» في «بري» «وهبة» في «وهب» و«سعة» في «وسع» و«هدى» في «هدى» و«أب» في «أبو» و«ابن» في «بنو» و«يد» في «يدي».

ومعرفة الحرف الزائد والأصل الأول وأن توقف على معرفة علم الصرف(٢) إلا أن أناساً عرفوا ذلك بالممارسة، وقد مرن بعض المعلمين في مدارس المبتدئين تلاميذهم على ذلك فصاروا في أقل مدة يراجعون ما يورد عليهم من الكلمات في كتب اللغة بدون تلكؤ، وجرى لهم نحو ذلك في رسم الخط فتراهم يرسمون مثلاً علا بالألف وأعلى بالياء ومن عرف سر التعليم لم يستبعد أعظم من ذلك أن هنا شيئاً، وهو أن بعض الكلمات قد اختلف فيها رأي اللغويين مثل «هبلع» وهو الأكول، فإن بعضهم يحكم بأن الهاء زائدة فيذكر في مادة «بلع» وبعضهم يحكم بأنها أصلية، ومثل «إبان»(٣)

---

(١) كتاب الغريبين ج١ ص ٣٥.

(٢) ومن الكتب في هذا الميدان كتاب «شذا العرف في فن الصرف» للعلّامة الأستاذ أحمد الحملاوي ط: دار الفكر بيروت لبنان، والكفاية في النحو وهو في علم الصرف للعلّامة محمد بن عبدالله بن محمود ط: دار ابن حزم بيروت.

(٣) أساس البلاغة مادة «اب» ص ٩. أنشد ابن الأعرابي:

قَدْ هَرَمَتْنِي قَبْلَ إبّانِ الهَرَمْ ... وَهْيَ إذا قُلتُ كُلِي قالَتْ نَعَمْ

صَحِيحَةُ المِعْدَةِ مِنْ كُلّ سَقَمْ ... لَوْ أكَلَتْ فِيلَينِ تَخْشَ البَشَمْ

فإن صاحب «الصحاح» ذكره في «ابن» بناء على أن النون فيه أصلية، فيكون وزنه فِعَّالاً، وصاحب «أساس البلاغة» ذكره في «أب» بناء على أن النون فيه زائدة كنون وجدان ونحوها فيكون وزنه فعلاناً.

وقد جرت عادة اللغويين أن يذكروه في الموضع الذي يترجح عندهم أنه موضعه وبعضهم يذكره في أحد الموضعين ويذكر في الموضع الآخر أنه قد مضى ذكره في كذا أو سيأتي فيه، وقد جرت عادة كثير من اللغويين الذين يحبون التيسير على الناس أن يذكروه في الموضع الذي يظن في بادئ الرأي أنه يذكر فيه وإن كان ليس موضعه على مذهبه، وقد جرى على ذلك الزمخشري في «أساس البلاغة» فإنه قال فيه:

(وقد رُتب هذا الكتاب على أشهر ترتيب متداولاً، وأسهله متناولاً يهجم فيه الطالب على طَلِبَتِهِ موضوعة على طرف الثمام وحبل الذراع، من غير أن يحتاج في التنقير عنها إلى الإيجاف والإيضاع، وإلى النظر فيما لا يوصل إلا بإعمال الفكر إليه وفيما دقق النظر فيه الخليل وسيبويه)[(١)].

وجرى على مثل ذلك المطرّزيّ[(٢)] في «المغرب» فقال فيه: (وربما فسرت الشيء مع لفقه موضع ليس بوفقه لئلا ينقطع الكلام، ويتضلع النظام [ثم إذا انتهيت إلى موضعه الذي يقتضيه اثبته غير مفسر فيه][(٣)] كل ذلك تقريباً للبعيد وتسهيلاً على المستفيد»[(٤)].

---

(١) أساس البلاغة ص ٨.

(٢) هو ناصر بن عبد السيّد بن علي المطرزي الخوارزمي أبو الفتح بن أبي المكارم، قرأ على الزمخشري والموفق خطيب خوارزم وبرع في النحو واللغة والفقه على مذهب الحنفية، وكان لهم كالأزهري للشافعية من تصانيفه المغرب وشرح المقامات الحريرية توفي سنة عشر وستمائة ـ البلغة ص١٨٩. إشارة التعيين ص ٣٦١ ـ.

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من أصل النص لعله نسيها طاهر الجزائري ـ رحمه الله ـ أو اعتمد على مخطوط لا توجد فيه هذه الزيادة. انظر المغرب في ترتيب المعرب ص١٦.

(٤) المغرب في ترتيب المعرب ص١٦. والمغرب اختصره من مصنف آخر له اسمه «المعرب» وذلك بعد الاستعانة بكتب أخرى ـ انظر اكتفاء القنوع ص ٣٢١.

ومن جرى على ذلك مجد الدين المبارك ابن الأثير[١] في «النهاية في غريب الحديث والأثر» فإنه قال بعد أن ذكر كتاب «الغريبين» للهروي وكتاب أبي موسى الأصفهاني في استدراك ما فات الهروي: (وسلكت طريق الكتابين في الترتيب الذي اشتملا عليه والوضع الذي حوياه من التقفية على حروف المعجم بالتزام الحرف الأول والثاني من كل كلمة واتباعهما بالحرف الثالث منها على سياق الحروف إلا أني وجدت في الحديث كلمات كثيرة في أوائلها حروف زائدة قد بنيت الكلمة عليها حتى صارت كأنها من نفسها وكان يلتبس موضعها الأصلي على طالبها لاسيما وأكثر طلبة غريب الحديث لا يكادون يفرقون بين الأصلي والزائد فرأيت أن أثبتها في باب الحرف الذي هو في أولها وإن لم يكن أصلياً، ونبهت عند ذكره على زيادته لئلا يراها أحد في غير بابها فيظن أني وضعتها فيه للجهل بها فلا أنسب إلى ذلك ولا أكون قد عرضت الواقف عليها للغيبة وسوء الظن ومع هذا فإن المصيب في القول والفعل قليل بل عديم ومن الذي يأمن الغلط والسهو والزلل، نسأل الله العصمة والتوفيق)[٢].

وقد أكثر صاحب «القاموس» من تعقب الجوهري في مواضع الكلم وذلك كقوله: (في «زرج[٣]»): و«الزرجون»، كقربوس شجر العنب أو قضبانها والخمر وماء المطر[٤] الصافي المستنقع في الصخرة، وذكره الجوهري في النون ووهم)، وكقوله لدى لغة في «لدن» و«اللدة»، كعدة

(١) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني العلاّمة مجد الدين، أبو السعادات الجزري الإربلي المشهور بابن الأثير ولد سنة ٥٤٤هـ بالجزيرة... له من التصانيف النهاية في غريب الحديث، جامع الأصول في أحاديث الرسول، البديع في النحو وغيرها، توفي سنة ٦٠٦هـ - بغية الوعاة ج٢ ص ٢٧٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث ج١ ص١١.

(٣) معجم مقاييس اللغة ج٣ ص ٥٣، ومجمل اللغة ص٣٤٢ والخصائص ج١ ص٣٥٧ والقاموس المحيط ج١ ص١٩٠، وكفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ ص ٦٤، ومنها قول الراجز:

هَلْ تَعِرفُ الدَّارِ لأُمِّ الخَزْرَجِ ... منها فَظَلْتَ اليومَ كالمُزَرَّجِ

(٤) جاء في القاموس: - والخمرة والمطر الصافي في المستنقع ج١ ص١٩٥.

الترب جمع «لدات» . . . هنا يذكر لا في «ولد»، وقد اشتدّ إنكار العلماء على صاحب «القاموس» في ذلك لما عرفت أن عادة كثير من اللغويين أن يذكروا الكلمة في الموضع الذي يظن أن الطالب يطلبها فيه، وأنهم قد يذكرون الكلمة مع لفقها في موضع ليس بوفقها تسهيلاً عليه مع أن أكثر ما انتقده عليه هو مذكور في موضعه على أصول أئمة الصرف الذين كان الجوهري يعد منهم، غير أنهم أفرطوا في ذلك حتى كادوا أن لا يقيموا لاعتراض من اعتراضاته وزناً مع أن من كثر خطؤه يمكن أن يخطئ الخطأ ولو مرة، ولم يفده كونه من الجماعة وكون الجوهري من أهل الاعتزال لما أن أهل الأدب لا تؤثر فيهم غالباً هذه العصبية، وعلى كل فليس لنا إلا أن نشكر مسعى كل من خدم هذه اللغة على أي وجه كان، أجزل الله ثوابهم وجعل إلى دار السعادة مآبهم.

واعلم أن طريقة الجوهري يؤمن فيها التصحيف في الأول والأخير البتة لدلالة الباب والفصل عليهما وفيما عداهما في الغالب لدلالة ما سبق أو ما يأتي على ذلك وحيث لم يؤمن التصحيف صرحوا بما يرفع الإشكال ولا يبقى مجالاً للاحتمال كقول الجوهري: (الشبادع العقارب واحدتها شبدعة بالكسر والدال غير معجمة).

وطريقة الجمهور يؤمن فيها التصحيف في الأول والثاني البتة وفيما عداهما في الغالب، ويصرحون بما يرفع الإشكال في المواضع التي يكون له فيها مجال، فإن قلت أي الطريقتين أرجح؟ قلت: لا فرق بينهما في بادئ الرأي، لأن الباحث يحتاج على كل حال إلى تجريد الكلمة من الزوائد وإرجاعها إلى أصلها وإذا تيسر له ذلك سهل عليه معرفة موضعها من كتب الفريقين وإذا دقق النظر وجد طريقة الجمهور أسهل مسلكاً، وذلك لأن طريقة الجوهري تتوقف على معرفة الآخر فإذا لم يعرف لم يمكن أن يعرف باب الكلمة ومعرفة الآخر أصعب من معرفة ما سواه غالباً فإذا أراد المبتدئ أن يبحث عن مثل «إبان» و«برهان» و«عرجون» لم يدر هل النون فيها أصلية؟ فيراجعها في باب النون، أم زائدة فيراجعها في غيره، والحيرة في مثل هذا أقل من الحيرة في مثل «يد» و«دم» و«ابن» و«أب» و«أخ»، مما

حذف آخره وفي مثل «خبأ» و«ذرأ» و«برأ» مما يحتمل أن يكون مهموزاً فيرجع فيه إلى باب الهمزة في أول الكتاب أو ناقصا فيرجع فيه إلى باب الواو أو الياء في آخر الكتاب ولنذكر لك أمثلة أخرى.

فمن ذلك «الجُفاء» بالضم وهو ما نفاه السيل فإنه من: جفأ الوادي إذا رمى بالقذى، والزبد فإنه يذكر في باب الهمز، وأما «الجَفاء» بالفتح وهو خلاف الصلة، فإنه يذكر في باب الواو لأنه مصدر جفوته إذا هجرته، ومن ذلك «الداء» و«الدواء»، فإن الداء يذكر في باب الهمز لأنه من ذوات الهمزة ويجمع على «أدواء» و«الدواء» يذكر في باب الياء لأنه من ذوات الياء، ويجمع على «أدوية»، وأما الكتب الموضوعة للجمهور فإن مثل «برا» و«برأ» و«ذرا» و«ذرأ» و«جُفاء» و«جَفاء»، يذكر في باب واحد في فصل واحد.

نعم قد يقع الإشكال في الأول في مثل «ابن» و«اثمد» و«أصبع»، فإن الهمزة فيها زائدة غير أن الإشكال فيه أقل.

والظاهر أن الذي دعا الجوهري إلى المسلك الذي سلكه مع أنه أصعب من المسلك الآخر هو رعاية جانب أهل الأدب فإنه إذا جمعت الكلمات المتحدة الأواخر في باب تيسر لهم أن يقصدوه لمعرفة الكلم التي على رويّ واحد من غير مشقة ونصب وذلك من المهمات في النظم والنثر الذي ينحى به منحاه وقد جرت عادة كثير من الشعراء أن يعدوا القوافي قبل النظم، وأكثر ما يشكل في الشعر من الكلم في الأكثر الكلم التي ترد في القوافي، ولا يخفى أن القوافي شأناً غير شأن غيرها حتى تغاضوا فيها عن ورود الغريب الذي لم يتجاوز الحد في الغرابة لمكان الاضطرار إليها ويكفيك ما شاع من قول الناس. هذا مما جرّته القافية، ويذكر أن بعض أهل الأدب عمل أبياتاً في وصف مدامة شربها وذكر فيها أنها جعلته في العي يحكى فلان بن فلان فسمع بذلك المهجو فقال له: لم هجوتني وأنا من أصدقائك؟ فقال: لأنك قعدت على طريق القافية.

وقد رأيت كتاباً كبيراً في اللغة العربية رتبه صاحبه على القوافي إلا أنه فسر الكلمات فيه بالفارسية لإفادة الفرس، وإذ عرفت ما اختصت به الطريقة الجوهرية فلنذكر لك ما اختصت به الطريقة الجمهورية:

وهي جمع الكلمات المتقاربة في اللفظ والمعنى فصل واحد، وذلك أنه قد ثبت عند علماء الاشتقاق أن التقارب بين اللفظين[(١)] يدل على التقارب بين المعنيين نحو: «قسم» و«قصم» و«قدر» و«قتر»، مما اتفق فيه الأول والثالث، واختلف فيه الوسط، ونحو: «صعد» و«سعد» و«قضم» و«خضم» مما اتفق الثاني والثالث، واختلف الأول، ونحو: «ابد» و«ابق»، و«بتر» و«بتك»، مما اتفق فيه الأول والثاني، واختلف فيه الثالث قال بعضهم في هذا النوع: وهو الذي يجمع في طريقة الجمهور في فصل واحد إذا أمعنت نظرك في التراكيب اللغوية وجدت بين كل كلمتين اتفقتا في الفاء والعين اتصالاً فإن تقارب اللامان في المخرج كان التقارب بين المعنيين أشد وإن تباعدا كان التباعد بين المعنيين بقدر ذلك، وأما أصل الاتصال فلا بد منه يظهر ذلك عند إمعان النظر وذلك المعنى هو الجهة الجامعة لهما وأن خفيت، وقد ظهر من البحث والنظر أن تركيب الهمزة مع الباء يدل على النفور والبعد والانفصال ويظهر ذلك في «ابّ» و«ابد» و«ابق» و«أبى» ونحوها، فإن كل واحد منها لا يفارقه ذلك المعنى يقال أب إذا تهيأ للذهاب وأبدت البهيمة إذا نفرت وتوحشت، وأبق العبد إذا هرب من سيده وأبى الرجل إذا امتنع، وإن تركيب الهمزة مع الزاي يدل على الضيق والشدة ويظهر ذلك في «أز» و«أزق» و«أزل» و«أزم» ونحوها، وأمثلة ذلك كثيرة وقد أوردوا ما يكفي للتدريب، وباقيه يحتاج إلى من يثيره من مكامنه، وكأن القائلين بهذا القول يذهبون إلى أن الأصل في هذا الباب هو حرفان وضعا لمعنى ثم زيد عليهما حرف آخر ليدل على معنى آخر يكون بمنزلة النوع

---

(١) نزهة الأحداق في علم الاشتقاق ص٢٩٠/٢٩١/٢٩٢/٢٩٣ لمحمد علي الشوكاني النص محقق في مجلة الأحمدية العدد ١٤٢٢/٨هـ..وانظر رسالة «العلم الخفاق في علم الاشتقاق» لصديق حسن خان ط: الجوائب وكتاب الاشتقاق لابن دريد في جزئين بتحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون.

للمعنى الأول الذي هو بمنزلة الجنس لأنواع معاني الألفاظ التي نشأت عنه بالزيادة، وهذا بحسب الظاهر يخالف ما قرروه فإنهم ذكروا أن ما كان على ثلاثة أحرف لا يحكم على حرف منه بالزيادة، وهذا كالمتفق عليه، قال سيبويه في كتابه: «وأما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كل شيء من الأسماء والأفعال وغيرهما مزيداً فيه وغير مزيد فيه وذلك لأنه كأنه هو الأول فمن تمكن في الكلام، ثم ما كان على أربعة أحرف بعده ثم بنات الخمسة وهي أقل لا تكون في الفعل البتة ولا يكسر بتمامه للجميع لأنها الغاية في الكثرة فاستثقل ذلك فيها».

فالكلام على ثلاثة أحرف وأربعة أحرف وخمسة لا زيادة فيها ولا نقصان، والخمسة أقل الثلاثة في الكلام، فالثلاثة أكثر ما تبلغ بالزيادة سبعة أحرف وهي أقصى الغاية والمجهود وذلك نحو «اشهيباب» فهو يجري على ما بين الثلاثة والسبعة، والأربعة تبلغ هذا نحو «أحرنجام» ولا تبلغ السبعة إلا في هذين المصدرين، وأما بنات الخمسة فتبلغ بالزيادة ستة نحو «عَضْرَفُوط» ولا تبلغ سبعة كما بلغتها الثلاثة والأربعة لأنها لا تكون في الفعل فيكون لها مصدر نحو هذا، فعلى هذا عدة حروف الكلم فما قصر عن الثلاثة فمحذوف وما جاوز الخمسة فمزيد فيه.

وكأنّ علماء الصرف اجمعوا على أن الاسم المتمكّن والفعل لا يبنيان من أقل من ثلاثة أحرف[1]. واحترزوا بالمتمكن عن غير المتمكن وهو المبنيّ فإنه لمشابهته للحرف قد يبنى من أقل من ثلاثة أحرف كالحرف وذلك مثل «من» و«هي»، فإن وجد اسم متمكن على أقل من ثلاثة أحرف «كأب» و«أخ» حكموا بأنه قد حذف منه شيء وأصلهما عندهم «أبو» و«أخو»، ويدل على ذلك انه يقال في تثنيتهما «أبوان وأخوان». وقد استقرؤا الكلم فوجدوا أن الأبنية الثلاثية أكثر مما سواها وحكموا بأنه أعدل الأبنية

(١) شرح جمل الزجاجي باب أبنية الأسماء ص ٤٣٢.

وأن الأصل في كل كلمة أن تكون على ثلاثة أحرف حرف يبتدأ به وحرف يوقف عليه وحرف يكون واسطة بينهما.

إذا عرفت ما ذكرنا ربما عرض لك الإعراض لك الإعراض عن القول السابق متعللاً بان إجماع علماء الصرف حجة فأنهم صرفوا أعمارهم في هذا الفن ووجهوا أنظارهم إلى دقائقه فإذا اتفقوا على شيء منه ولا داعي لهم على ذلك من رغبة أو رهبة لم يكن ذلك إلا لكونه صواباً إذ يعسر الحكم بخطئهم أجمعين بعد إعطائهم النظر حقه لكن إذا أمعنت النظر ربما ظهر لك ذلك القول ربما لم يكن مصادما للإجماع لأن كثيراً من المسائل يختلف الحال فيها باختلاف الفن، ألا ترى أن النحوي المنطقي يجزم بأن عبدالله إذا كان علماً مفرد هذا إذا كان يبحث في المنطق[١]، لأنه لا فرق بينه وبين زيد في كونه لا يدل جزء لفظه على جزء معناه فإذا كان يبحث في النحو يرجح كونه مركباً رعاية لجانب اللفظ فحكمه عنده حكم قولك أنا عبدالله إذا لم يكن ذلك اسمك لوجود جزأين فيه قد أعرب كل واحد منهما بإعراب، ولعلك تقول أن هذا ليس باستدلال بل هو من قبيل إيراد المثال وهو لا يزيل ما حاك في صدري من الإشكال فهل عندك أقرب من هذا إلى الفهم وأبعد منه عن الوهم.

فأقول: ان علماء الصرف إنما يبحثون عن الكلمات باعتبار الزمن الأخير الذي وصلت إليهم فيه وحكمهم في ذلك صحيح لا مرية فيه، وعلماء سر اللغة إنما يبحثون عنها باعتبار الزمان الأول وهو زمن ظهور شيئاً فشيئاً وحكمهم في ذلك وإن كان في الغالب بطريق الظن إلا أنه لا يصادم حكم أولئك، فكم من زائد في أول الأمر حكم له من بعد بالأصالة وكم من مركب في الابتداء صار مفردا في الانتهاء وانظر إلى ميم «مكن»[٢]، فإنه

---

(١) انظر شرح السلم المرونق في علم المنطق فصل مباحث الألفاظ ص٦٠ للأخضري من تحقيقنا ط: دار ابن حزم بيروت.

(٢) زيادة الميم، والميم كالهمزة إلا أنها خصت بالاسم واطردت زيادتها في المصدر واسم=

لا يتوقف أحد من أهل الصرف عن الحكم بأنها أصلية فإنها نظير ميم «مرن» و«مكث»، مع أن بعضهم قال: إنها مأخوذة من المكان وميمه زائدة[١]، فهو مَفْعِلٌ[١] من الكون لكن لكثرته في الكلام توهموا أن ميمه أصلية فأجروه مجرى فعال[٢]، كزمان وجمع على أمكنة ثم أخذ منه «مكن» و«تمكن».

وانظر إلى همزة «أمَّعة»[٣] وهو الذي يتابع كل أحد على رأيه ويقول له: «أنا معك» ومنه قول ابن مسعود: (لا يكوننّ أحدكم امعه)، وقد جاء في الأثر: (اغد عالماً متعلماً ولا تكن أمَّعة)، فإنهم حكموا بأنها أصلية فوزنه فِعّلة مع أن الظاهر أنها زائدة دخلت على لفظ مع فيكون وزنه أفْعلة قالوا لأن افعل وأفعلة لا يكونان وصفا

ومثل ذلك تاء «تخذ»، فإنهم حكموا بأنها أصلية مع أنها كانت في الأصل زائدة[٤]، قال علماء اللغة: يقال أتخذوا في القتال بهمزتين أي أخذ

= الفاعل والمفعول والزمان والمكان والآلة عرف ذلك بالاشتقاق فما أبهم حمل على ما علم «فَمَنْبج» اسم بلد «مَفْعِلٌ» لعدم مثل «جَعْفِرٍ» بكسر الفاء وقلة زيادة النون ثانية. الكفاية في النحو ص٣٩٢. وانظر فقه اللغة وخصائص العربية ص ١٥٠ وللتنبيه فإن محمد المبارك ذكر إن لفظة «مكن» تقع في صفحة ٣٧ من كتاب الكافي في اللغة لطاهر الجزائري وهذا في كتابه فقه اللغة وخصائص العربية بل تقع في صفحة ٣٨.

(١) شذا العرف ص ٦٣.

(٢) شذا العرف ص٥٧.

(٣) «وأما أرطى وأمر وأمعة فهمزاتها أصلية ولا يحكم على الهمزة بالزيادة إذا كانت غير أولى إلا بدليل من اشتقاق أو تصريف نحو قولهم للريح شمأل وشأمل لأن في قولهم شملت الريح تشمل دليلاً على زيادة الهمزة ـ شرح جمل الزجاجي ص٤٣٨ ـ.

(٤) إبدال التاء: والتاء من الواو والياء والسين والصاد والباء الموحّدة أمّا من الواو والياء فلازم في نحو «اتّعَدَ» و«اتّسَرَ» على الأفصح، وشاذّ من الواو فاءً في نحو «تَكُلانٍ» و«تُخْمَةٍ» وتُهَمَةٍ وتَقْوى وتَتْرى وتَوْلَج وتُرَاب وأَتْلَجَهُ ـ الكفاية في النحو ص٢٩٣ ـ «(زيادة التاء) والتاء اطّردت زيادتها في «تَفَعُّلٍ وتِفِعّالٍ وتَفَاعُلٍ وتَفَعْلُلٍ وأَفْعالها، وفي تَفْعِيلٍ وتَفْعِلَةٍ وتَعْفَالٍ وكثرت في نحو رَغَبُوتٍ ورَهَبُوتٍ» ـ الكفاية في النحو ص٣٩٥ ـ.

بعضهم بعضاً و«الاتخاذ» افتعال أيضاً من الأخذ إلا أنه ادغم بعد تليين الهمزة وإبدالها بالتاء ثم لما كثر استعماله توهموا أن التاء فيه أصلية كتاء «اتبع»: فبنوا منه فعل بالكسر فقالوا: «تخذت زيداً صديقاً»، إذا جعلته كذلك ومصدره «تخذ» بفتح الخاء وسكونها، واستبعد بعضهم ذلك فجعل «تخذ» أصلاً وجعل «اتخذ» مأخوذاً منه فهما بمنزلة «تبع» و«اتبع»، ومن دقق النظر تبين له أن البناء على التوهم لا يحصى في اللغة وأن معظم اتساعها نشأ عن ذلك ومغزى الكلام هنا أن الحكم على كلمة بكونها كانت مجردة ثم زيد فيها شيء لا ينافي الحكم عليها بأنها ليس فيها زائد نظراً إلى الحال الحاضر.

ويظهر لك هذا الأمر ظهوراً لإخفاء بعده بأمر النحت وهو جعل الكلمتين كلمة واحدة بعد إزالة ما يمنع التئامهما نحو «حيعل المنادي» أي قال: حي على كذا قال الشاعر:

أقول لها ودمع العين جار   الم يحزنك حيعلة المنادي[(١)]

وقد ذكروا أن أكثر الكلمات التي تجاوزت حروفها الثلاثة منحوت، ولا يخفى أن المنحوت مفرد مع أنه كان في الأصل مركباً فليس يسوغ لمن لا يعرفه أو ينكره أن يعترض على القائل به بأن الألفاظ المدّعى نحتها مفردة مع أن قاعدة النحت تقتضي أنها مركبة لأن المدعي للنحت لا يخالفه في كونها الآن مفردة وقد ذكرنا في كتاب «أصول اللغة»[(٢)] أنه قد يعرض في

---

(١) الحيعلة حكاية قولك حي على الصلاة حي على الفلاح ـ القاموس المحيط ج٣ص٣٥٣. وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه فقه اللغة: (البسملة حكاية قول: بسم الله، السبحلة حكاية قول: سبحان الله، الهيللة حكاية قول: لا إله إلا الله، الحوقلة حكاية قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، الحمدلة حكاية قول: الحمد لله، الحيعلة حكاية قول المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح، الطلبقة حكاية قول: أطال الله بقاءك، الدمغزة حكاية قول: أدام الله عزك، الجعلفة وفي رواية الجعفلة حكاية قول: جعلت فداءك ـ ص١٩١.

(٢) قلت: يقصد به كتابه «التقريب لأصول التعريب» ط: المطبعة السلفية القاهرة سنة ١٩١٩ ـ العقود اللؤلؤية في الكشف عن المطبوعات العربية الجزائرية ـ كتب اللغة ـ مخطوط ـ.

بعض المواضع أن تختلف أنظار كل من علماء الصرف وعلماء اللغة وعلماء الفقه فيها ويكون لكل وجهة. والواجب على كل فريق منهم أن يعطي فنه ما يستحقه من النظر والاعتبار غير متعرض لما لا يعنيه من الاعتراض على غير أهل مذهبه فإن ذلك أقرب للسلامة من الخطأ والخطل وإن كان ملياً بها كلها كان أجدر أن يعطي كل فن ما يستحقه من النظر والاعتبار لأشرافه عليها من عل، إلاّ أن يبدو له شيء يضطره إليه البرهان فيقول به فإن أصاب فله مع الأجر جميل الذكر وإن أخطأ لم ينح عليه بالملام لأنه تكلم فيما له به إلمام، وعلى كل حال فليكن متمثلاً بقول من قال:

يوما يمان إذا لاقيت ذا يمن ... وإن لقيت معديا فعدناني

هذا والإمعة بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة وقد تفتح الهمزة والهاء فيه للمبالغة، ولا استبعد أن يكون الإمعة منحوتاً مما يقوله لكل من يلقاه وهو أني معه، حذفت النون الثانية ليتيسر المزج ثم قلبت النون ميماً، ثم أدغمت في ميم مع، فصار أمع، ثم زيدت فيه الهاء للمبالغة فصار إمعة، ويقال أيضاً أمّع بدون هاء.

ولعل قائلاً يقول كيف يحكمون بأن الأصل في الكلم العربية أن تكون على ثلاثة أحرف فما زاد على ثلاثة يكون إما من المزيد فيه أو مما ركب من كلمتين صارتا بعد بطريق النحت كلمة واحدة، وما نقص عن ثلاثة أحرف يكون مما حذف منه شيء إلا أن تكون الكلمة من قبيل الحرف كهل «وقد» أو من قبيل الأسماء المشابهة للحرف «كمن» وهو فإن هذا النوع يحكم فيه بأنه قد نشأ كذلك لعلة يذكرونها والخليل بن أحمد يسمى مثل «در» و«رد» ثنائياً ويفتتح في العين كل حرف من الحروف به وناهيك قول مثل صاحب «مفتاح العلوم»[١] في مبحث النواصب وهو من العدلية

(١) مفتاح العلوم ص٣٩/٤٠/٤١/٤٢ وانظر ص٦٩، وهو كتاب مفتاح العلوم لأبي يعقوب بن يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي المتوفي سنة ٦٢٦ هـ بخوارزم قسمه إلى ثلاثة أقسام الأول في علم الصرف والثاني في علم النحو والثالث في علم المعاني والبيان والبديع ـ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ـ ص٣٥٧/٣٥٨.

المعروفين بالاعتزال والخليل من الجماعة الموصوفين بالاعتدال: وأما الناصبة للأفعال فالأصل فيها أن عند الخليل «قدس الله روحه» وقول الخليل يغني عن الدليل:

إذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام[(١)]

على أن كثيراً من الباحثين عن أصول اللغات في هذا العصر قد أفضى بهم البحث إلى أن الكلم في اللغات السامية كانت ثنائية في أول الأمر.

فنقول: إن الخليل إنما سمى مثل در ورد بالثنائي المضاعف وفي لفظ المضاعف ما يدل على أنه لم يرد بلفظ الثنائي المعنى الذي تشير إليه، ألا ترى إنه لما ذكر در في أول حرف الدال في نوع الثنائي المضاعف منه اتبعه بذكر «دردر» و«دردور»؟ ولا شك أن «دردر» ذو أربعة أحرف، ولكن سماه هو ثنائياً لعدم وجود غير الدال والراء فيه وهما حرفان وإن كان منهما قد ضوعف، وذكر بعده الدرد وهو ذو ثلاثة أحرف غير أن فاءه ولامه من جنس واحد، و«الددن» وهو ذو ثلاثة أحرف غير أن فاءه وعينه من جنس واحد، ثم لما انقضى الثنائي المضاعف انتقل إلى ذكر الثلاثي الصحيح فذكر فيه ما ذكر من نحو: «دثر» و«درن» و«دفر» وما قلب منها على عادته... وعلى ذلك جرى في سائر الحروف.

وهٰهنا أمر جدير بأن ينظر فيه وهو أنهم قالوا أن الأصل في أواخر الكلم أن تكون ساكنة قال في (المفتاح)[(٢)]: (ان اعتبار أواخر الكلم ساكنة ما لم يعرف عن السكون مانع أقرب لخفة السكون بشهادة الحس وكون الخفة مطلوبة بشهادة العرف ولكون السكون أيضاً أقرب حصولاً لتوقفه على اعتبار

(١) قاله حتم بن صعب وكانت حذام امرأته، شواهد القطر ١ للخطيب الشربيني وفي معالم الاهتدا بشرح شواهد قطر الندا وبل الصدا قائله سحيم بن مصعب والبيت من البحر الوافر ص٢، وانظر الشاهد في قطر الندى وبل الصدى ص٢٦ والخصائص ج١ ص٥٢٥. وشذور الذهب ١٣٦. وشواهد مغني اللبيب ج١ ص٢٤٦، وشرح ديوان الحماسة لأبي تمام ج٣ص١٨١. والكامل ص٢٩٧. والاشتقاق ص١١٨. مفتاح العلوم ص٦٩.

(٢) هو مفتاح العلوم للسكاكي.

واحد وهو جنسه دون الحركة لتوقفها على اعتبارين جنسها ونوعها فتأمل[١].

وعلى هذا يكون المضاعف على حرفين حين الوضع وذلك لأن الكلمات قبل التركيب تبنى على الوقف وإذا وقف عليه بقي على حرفين فتقول في «قَدَّ» «قَدْ» بسكون الدال وفي «هلّ» «بهلْ» سكون اللام فتصير قد حين الوقف على صورة قد في قولك: «قد قام» غير أن بينهما فرقاً يشعر به السامع مثل ما يشعر به المتكلم، وذلك أن الحرف المشدد إذا وقف عليه يكون الاعتماد عليه أكثر فيبقى فيه شيء من آثار التشديد فيشعر السامع بأنه كان قبل الوقف مشدداً.

ومن أراد أن يتجاوز هذا الحد عسر عليه ذلك إلا أن يأخذ بالمذهب الذي تقبله ابن جني بقبول حسن وهو ما ذكره في «الخصائص» بقوله: (ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين[٢] الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد[٣]. وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل.

فإن حكاية الأصوات تظهر في المضاعف أكثر مما تظهر في غيره وإذا استقرأت المضاعف وجدت جله مما يشعر بحكاية صوت وكثير من ذلك يظهر بأدنى التفات إليه وكثير منه يحتاج إلى قوة حس وحدس فيبدو لأناس ويخفى على آخرين حتى أن بعض المنكرين يتخيل أن هذا من تأثير التخيل ويقول: أن هؤلاء لما اعتقدوا أن المضاعف نشأ عن حكاية الأصوات صاروا يتخيلون في المضاعف صوتاً يشاكل ما أخذ عنه وإن لم يكن ثم مشاكلة.

---

(١) مفتاح العلوم ص ٦٠ الباب الثالث في الأثر وهو الإعراب.

(٢) إذا أخرج المكروب أو المريض صوتاً رقيقاً فهو الرنين، فإذا أخفاه فهو الهنين، فإذا أظهره فخرج خافياً فهو الحنين، فإذا زاد فيه فهو الأنين، فإذا زاد فيه فهو الخنين، فإذا أزفر به وقبح الأنين فهو الزفير فإذا مد النفس ثم رمى به فهو الشهيق فإذا تردد نفسه في الصدر عند خروج الروح فهو الحشرجة ـ فقه اللغة للثعالبي ص١٩٢ـ.

(٣) الخصائص ج١ ص٩٨/٩٩.

«قال ابن جني بعد أن أفاض في بيان مناسبة اللفظ للمعنى: (ووراء هذا ما اللطف فيه اظهر والحكمة أعلى واصنع، وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف تشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها [بها ترتيبها][1] وتقديم ما يضاهي أول الحدث وتأخيرما يضاهي آخره [وتوسيط ما يضاهي أوسطه][2] سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب».

«ومن ذلك قولهم: «شدّ الحبل»، فالشين لما فيها من التفشي تشبه صوت[3] أول انجذاب الحبل قبل استحكام العَقْد، ثم يليها إحكام الشدّ والجذب [وتأريب العَقْد] فيعبر بالدال التي هي أقوى من الشين لاسيما وهي مدّغمة فهي أقوى لصيغتها[4]، وأدلّ على المعنى الذي أريدها بها [ويقال: شدّ وهو يُشِدّ]، فأما الشدة في الأمر فإنها مستعارة من شد الحبل». «ومن ذلك قولهم» جرّ الشيء يجره»، قدم الجيم لأنه حرف شديد، وأول الجرّ مشقة على الجارّ والمجرور جميعاً، ثم عقبوا ذلك بالراء وهي حرف تكرير وكرروها مع ذلك في نفسها، وذلك لأن الشيء إذا جر على الأرض في غالب الأمر [اهتز عليها] واضطرب صاعداً عنها ونازل [إليها] وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق فكانت الراء لما فيها من التكرير ولأنها أيضاً قد كررت في نفسها أوفق بهذا المعنى من جميع الحروف، فإن رأيت شيئاً من هذا [النحو][5] لا ينقاد لك فيما رسمناه ولا يتابعك على ما أوردناه، فذلك لأحد أمرين أما أن يكون لم تنعم النظر فيه فيقعدك فكرك عنه، أو لأن لهذه اللغة أصولاً وأوائل قد تخفى عنا وتقصر أسبابها دوننا»[6].

وعلى ما ذكر من أن اللغات إنما نشأت عن الأصوات وأن حكاية

---

(١) الخصائص ج١ ص٥١٢ ما بين معكوفتين زيادة من الخصائص.
(٢) الخصائص ج١ ص٥١٢ ما بين معكوفتين زيادة من الخصائص.
(٣) في الخصائص ج١ ص٥١٢ «بالصوت».
(٤) في الخصائص ج١ ص٥١٣ «لصنعتها».
(٥) ما بين معكوفتين زيادة من كتاب الخصائص ج١ ص٥١٢/٥١٣.
(٦) الخصائص ج١ ص٥١٢/٥١٣.

الأصوات تظهر في المضاعف أكثر مما تظهر في غيره وأن الأصل في أواخر الكلم السكون يقوى القول بأن الكلمات كانت في أول الأمر ثنائية وأن أول ما وضع من الكلم هو المضاعف ثم تلاه غيره قال ابن جني: (الصواب رأي أبي الحسن الأخفش[١] سواء قلنا بالتوقيف أم بالاصطلاح أن اللغة لم توضع كلها في وقت واحد بل وقعت متلاحقة متتابعة[٢].

❊ ❊ ❊

في أن ذلك لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾

واعلم أن الذين قالوا بحدوث اللغات عن الأصوات وبكونها لم توضع كلها في وقت واحد يقولون أن هذا لا ينافي قوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[٣] لأن غاية ما في القول الأول ثبوت المناسبة بين اللفظ والمعنى وفي ذلك دلالة على حكمة الواضع وغاية ما في القول الثاني أن بعض الأشياء لم يوضع لها اسم إذ ذاك لعدم الاحتياج إليها حينئذٍ. أما لأنها لم توجد بعد أو لأنها وإن وجدت فإن الحاجة لم تدع إليها فإن وضع الاسم للشيء إنما تكون له فائدة إذا كان مما يحتاج إليه ليدل به حين الحاجة عليه.

---

(١) هو علي بن سليمان بن الفضل أبو الحسن النحوي الأخفش الصغير أخذ عن المبرد وثعلب وغيرهما لم يشتهر عنه تصنيف ولا شعر وكان في غاية الفقر توفي من أكل الشحم النّيّ من الفاقة قبض على قلبه فمات ـ البلغة ص ١٢٥، طبقات الزبيدي ص٨٤ ـ.

(٢) الخصائص ج١ ص ٩٤ باب القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح، والمزهر ج١ ص١٧/١٨ ـ احتجاج القائلين بالتوقيف واحتجاج القائلين بالاصطلاح والصاحبي ص٣٢ باب القول على أن لغة العرب: أتوقيف أم اصطلاح؟ وانظر فقه اللغة لعبدالواحد وافي ص٢٧٧ والاقتراح في علم أصول النحو ص١٥/١٦/١٧. والظاهرة اللغوية الأصل والتطور والمستقبل فصل منشأ. الظاهرة اللغوية ص ١٩. فقه اللغة مناهله ومسائله ص٢٦/٢٨.

(٣) سورة البقرة الآية ٣١.

ويدل على أن ما لم يوجد حينئذٍ لم يوضع له اسم تتمة الآية وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[1]، قال المفسرون: (الضمير في عرضهم عائد إلى المسميات المدلول عليها ضمنا إذ التقرير ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾ أسماء المسميات كلها ثم عرض المسميات على الملائكة وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وأما التأكيد بكل هنا فأجابوا عنه بان كل قد يأتي للتكثير دون الإحاطة كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾[2] والتزم بعضهم التخصيص في الأسماء فقال التقدير ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ المسميات التي احتاج إليها كلها، وعليه فتكون كل هنا على ظاهرها من الدلالة على الإحاطة، وعلى كل حال فإيراد الأسماء وهو جمع محلى بالألف واللام وهو مما يدل ظاهره على العموم وتأكيد ذلك بكل يدل على أن ما علمه آدم «عليه السلام» من ذلك أمر عظيم لا يحاط بكنهه، ولا يخفى أن معرفة الأسماء على الحقيقة لا تكون إلاّ مع معرفة المسمى وحصول صورته في النفس ولذلك كان القصور في اللغة أو التقصير فيها موجباً في الأكثر للتقصير في كثير من العلوم، وكفى بهذه الآية دليلاً على شرف علم اللغة.

❋ ❋ ❋

في سر تقديم بعضهم المضاعف على غيره

ولنرجع إلى أول الكلام فنقول قد عرفت أن طريقة الجمهور يتحد فيها الأول والثاني في كل فصل من فصول الأبواب، إلا أن ترتيب الكلمات في الفصل الواحد يكون بالنظر إلى ما بعد الثاني فما كان فيه مقدماً قدم، لا

(١) سورة البقرة الآيتان ٣١، ٣٢.

(٢) سورة طه الآية ٥٦.

فرق بين المضاعف وغيره وقد التزم الراغب الأصفهاني أن يبدأ بالمضاعف إن كان ثم بمضاعفه ثم يعود إلى الترتيب المشهور فيذكر في فصل الراء من باب الباء «برّ» و«بربر»، ثم يأخذ في ذكر «برأ» فما بعده[(١)].

وكأن لذلك سببين: **أحدهما**: أن عنوان الفصل ينطبق على المضاعف أكثر من انطباقه على غيره فإن دخول «برّ» في فصل الباء مع الراء اظهر من دخول «برأ» ونحوه فيه لوجود زيادة فيه على عنوان الفصل. ولأنه ثنائي في بادئ الرأي والثنائي مقدم على ما فوقه وهذا سبب لفظي لا مانع من مراعاته.

والثاني: ما أشير إليه سابقاً وهو أن المضاعف هو الأصل في كل فصل، وهذا سبب معنوي جدير بالمراعاة.

وقد ذكر بعضهم مثل «رأب» في «راب» ومثل «صبأ» في «صبا» لانقلاب الهمزة في كثير من المواضع إلى حرف العلة.

وقد قدم بعضهم الهاء على الواو موافقة للمغاربة في هذا الموضع وهذا موافق للحكمة لأن الواو والياء أختان لا ينبغي أن يفصل بينهما بفاصل لاسيما وكثير من ذوات الواو قد وردت في بعض اللغات بالياء نحو «محوته» فقد ورد «محيته» من باب نفع في لغة ونحو «فاح» «يفوح» «فوحاً» فقد جاء فيه «فاح» «يفيح» «فيحاً» في لغة. وكثير من ذوات الياء قد وردت في بعض اللغات بالواو نحو «كنييت» عنه فقد ورد «كنوت» عنه في لغة ونحو «تاه» «يتيه» فقد جاء «تاه» «يتوه» في لغة.

❋ ❋ ❋

طريقة كل من المشارقة والمغاربة في ترتيب حروف الهجاء

هذا وقد أحببنا أن نذكر لك طريقة المغاربة في ترتيب حروف الهجاء فإن ذلك ينفعك حين مطالعة كتبهم المرتبة على حروف المعجم ككتب اللغة

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣٥.

والتاريخ وقد وافقوا المشارقة في الألف فما بعدها إلى حرف الزاي وخالفوهم فيما فوق ذلك وها هي مسوقة على ترتيبهم وتحتها حروف المعجم مسوقة على ترتيب المشارقة وهي بخط دقيق:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و هـ ي

❋ ❋ ❋

طريقتهم في ترتيب الحروف في حساب الجمل

وخالفوهم أيضاً في ترتيب الحروف في أبجد وترتب عليه الاختلاف في أعدادها حين الحساب بها على الطريق المعروف بحساب الجمل إلا أن الاختلاف إنما وقع فيما بعد النصف الأول وهو ما بعد كلمن، وها هي مسوقة إليك على النهج السابق:

أ ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن

أ ب ج د هـ و ز ج ط ي ك ل م ن

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠

ص ع ف ض ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش

س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠

٨٠٠ ٩٠٠ ١٠٠٠

فإن قلت: أن الذي ذكرته من مزية طريق الجمهور موجود في طريقة الجوهري فإن الجمهور جمعوا في كل فصل بين الكلمات التي تماثل أولها

وثانيها وهو جمع في كل فصل بين الكلمات التي تماثل أولها وآخرها فالاتفاق في حرفين حاصل في الطريقتين قلت أن التقارب بين الألفاظ وإن كان موجباً للتقارب بين المعاني إلا أن درجات التقارب مختلفة اختلافاً بيناً فإن التقارب بين «كنّ» و«كند» و«كنز» مما يجتمع في فصل على طريقة الجمهور، أبين من التقارب بين «ركن» و«زكن» و«سكن»، مما يجتمع في فصل على طريقة من رتب كتابه على القوافي فإنه يلتزم رعاية ما قبل الآخر رعاية لمن يلتزم من الأدباء ما لا يلزم. والتقارب فيها أبين من التقارب بين «كمن» و«كان» و«كهن» مما يجتمع في فصل على طريقة الجوهري وأن كانت هذه الكلمات كلها متقاربة لوجود الكاف والنون فيها أجمع غير أن الأخيرة قد فصل فيها بين الحرفين حرف أجنبي بخلاف الأولى والثانية غير أن الأولى قد جعل الحرفان فيها في مبدأ الكلمة، وهي أول ما يقرع السمع فإذا فرضنا أن «كن» المركبة من الكاف والنون هي أصل هذه المواد المختلفة يكون ظهور معناها في القسم الأول أقوى من الثاني، وفي الثاني أقوى من الثالث.

مثال قريب المنال يتعلق بسر اللغة

ولنتم البحث في هذا المثال فإنه فيما يظهر قريب المنال، فنقول «الكن» بالكسر السترة والجمع «اكنان»، و«كن» الشيء و«أكنه» ستره، و«استكنّ» الشيء استتر، ومعنى الستر موجود في كل كلمة وجدت في أولها هذه المادة، تقول «كند» فلان إذا كفر النعمة فهو كنود، وأصل الكفر تغطية الشيء، والكنز المال المدفوع وقد كنزه من باب ضرب ويقال كنزه إذا جمعه وادّخره، وكنس الظبي كنوساً دخل في «كناسة» وهو مستتره في الشجر لأنه يكنس الرمل حتى يصل، والذي يظهر أن كنس الدار مأخوذ من كنوس الظبي، و«كنع» «كنوعاً» انقبض وانضم وذل وخضع وكنع عن الأمر جبن عنه، والكنيف هو ما يستر من بناء أو حظيرة ويقال للترس كنيف لأنه يستر صاحبه ويقال: كنفت الرجل إذا قمت بأمره وجعلته في كنفك أي حرزك، وكنه الشيء حقيقته ونهايته وغايته ووقته يقال: عرفته كنه المعرفة ولا يشتق منه فعل وكنيت عن الأمر وكنوت عنه إذا

ورّيت عنه بغيره، وتكنى تستر ومنه قول بعضهم ـ رأيت علجاً يوم القادسية قد تكنى ـ، وقيل: تكنى بمعنى ذكر كنيته وهو من شعار المبارزين في الحرب يقول أحدهم أنا فلان وأنا أبو فلان فالنظر إلى ظهور معنى الستر في أكثر هذا الفصل ظهوراً بيناً وأما ما تأخرت الكاف والنون فيه نحو «تكن» و«ركن» و«زكن» و«سكن» و«عكن» و«لكن» و«مكن» و«وكن»، فيقل ظهور ذلك المعنى فيه إلا في قليل منها نحو الثكنة بالضم فإنها جاءت بمعنى القبر وبئر النار والحفرة التي تكون بقدر ما يواري الشيء والنية من إيمان وكفر، ومركز الأجناد ومجتمعهم تحت لواء صاحبهم وإن لم يكن هناك لواء ولا علم. ونحو: «الوكن» و«الوكنة» فإنهما بمعنى «عش الطائر»، وأما الدكان وهو الحانوت فانه معرّب والمعرب لا مدخل له في هذا الباب فإن وجد فيه المعنى كان من قبيل الصدفة، وأما ما فصل فيه بين الكاف والنون بحرف نحو «كبن» و«كتن» و«كفن» و«كمن» و«كان» و«كهن»، فظهور ذلك فيه أقل مما قبله كما نحو «كفن» و«كمن» وأما «كبن الشيء» إذا غيبه فلعله مأخوذ من خبن تقول: خبنت الطعام إذا غيبته والخبنة ما تحمله في حضنك.

❋ ❋ ❋

في أن لغة حمير تخالف لغة مضر في كثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها

واعلم أن هذا المبحث صعب المسلك فيجب على سالكه أن يكون شديد الانتباه كثير الاحتراز لئلا يدخل عليه كلمة معربة أو ناشئة من غيرها بطريق القلب أو الإبدال ونحو ذلك والأولى له أن لا يتعرض لغريب اللغة فربما كان فيه ما هو من لغة حمير وما جرى مجراها ولغة حمير تخالف لغة مضر في كثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها وقد حاول بعض من لم يشعر بذلك أن يشتق بعض كلماتها كالقيل من لغة مضر فاغرب، والقيل الملك من ملوك حمير.

قال بعضهم: أصله قيّل بالتشديد كميت سمى به، لأنه يقول ما شاء

فينفذ والقياس في جمع قيل أقوال مثل ميت وأموات وروي في الحديث «إلى الاقيال العباهلة»، والقياس الأقوال في جمع فيعل من القول ويجوز أن يكون الاقيال جمع قيل الذي هو فيعل من قولهم تقيل أباه إذا أشبهه كأن كل ملك يشبهه الآخر في ملكه كما قيل تبّع لما كان يتبع الآخر، قال أبي عمرو بن العلاء: (ما لسان حمير وأقاصي اليمن لساننا ولا عربيتهم عربيتنا)[١].

وقال ابن جني في «الخصائص»: (لسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها من لغة ابنى نزار فقد يمكن أن يقع شيء من تلك اللغة في لغتهم فيساء الظن بمن سمع منه وإنما هو منقول من تلك اللغة، ودخلت يوماً على أبي علي رحمه الله خالياً في آخر النهار فحين رآني قال: أين كنت أنا أطلبك قلت وما ذلك ما تقول فيما جاء عنهم من حَوْرِيت فخضنا معه فيه فلم نحل بطائل منه فقال هو من لغة اليمن ومخالف للغة ابني نزار فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمثلتهم)[٢].

وقال ابن دريد[٣] في كتاب «الاشتقاق» وهو كتاب في اشتقاق أسماء المشهورين من العرب بعد أن ذكر أسماء مهرة[٤] بن حيدان (وقد تقدم قولنا في أن هذه الأسماء المستشنعة مشتقة من أحرف قد أميتت.

ومهرة قد انقطعوا بالشحر فبقيت لغتهم الأولى الحميرية لهم يتكلمون بها إلى هذا اليوم.

---

(١) الراغب الأصفهاني سبقت ترجمته.

(٢) الخصائص ج١ ص ٣٨١و٣٨٢ وحَوْرِيت اسم موضع.

(٣) هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية أبو بكر الأزدي اللغوي ولد بعُمان سنة ٢٢٣ ونشأ بها وتنقل في الجزائر البحرية ما بين البصرة وفارس وحصل من النحو واللغة أوفر نصيب وأعظم قسم... وله تصانيف حسنة منها الجمهرة والاشتقاق والملاحن والمجتبى والمقصورة... توفي سنة ٣٢٣هـ ـ البلغة ص١٥٨ ـ ومراتب النحويين أنه توفي سنة ٣٢١ ـ وبغية الوعاة ج١ ص٦٦/٦٧/٦٨/٦٩/٧٠ ـ اكتفاء القنوع ص٢٦٦ ـ طبقات الزبيدي ص٩٨ ـ والاشتقاق من ص٣ إلى ص٢٥ ترجمة كاملة. ومعجم الشعراء ص ٤٩١ أنه توفي سنة ٣٢١ هـ.

(٤) مهرة اشتقاقه من قولهم فلان ماهر بكذا وكذا، إذا كان حاذقاً به وسابح ماهر، أي حاذق وكل حاذق بصنعة فهو ماهر بها ـ الاشتقاق ص ٥٥٢ ـ.

وقال في أسماء قبائل ذي الكلاع[١]: «قد عرفتك آنفاً أن هذه الأسماء الحميرية لا نقف لها على اشتقاق لأنها لغة قد بعدت وقدم العهد بمن كان يعرفها»، ومن وقف على القلب والإبدال والنحت وبرع في إرجاع المواد المختلفة إلى مادة واحدة على الطريقة التي أشرنا إليها وعرف مع ذلك الأصل الأول في المادة الواحدة فقد أشرف على اللغة ووقف على أسرارها وقوي أُنسه بها.

❋ ❋ ❋

في أن معرفة الأصل الأول في المادة الواحدة أمر مهم الاتباع

ومعرفة الأصل الأول في المادة الواحدة أمر مهم، وقد قال به بعض علماء الاشتقاق مثال ذلك مادة «ش ج ر» فإنهم ذهبوا إلى أن الأصل فيه «الشجرة» المعروفة ذات الأغصان وكل ما في هذه المادة راجع إليها تقول: «شجر الأمر بين القوم» إذا اختلف واختلط وتأويله اختلف واختلط كاختلاف أغصان الشجرة واختلاطها، واشتجر القوم وتشاجروا إذا اختلفوا أو تنازعوا، وشجره بالرمح إذا طعنه به وتأويله أنه جعله فيه كالغصن في الشجرة، وشجر بيته إذا عمده بعمود وشجر الشجرة إذا رفع ما تدلى من أغصانها، إلى غير ذلك فكل ما تفرع من هذه المادة فأصله الشجرة عندهم وقس على ذلك ما لا يحصى من الكلم مثل مادة «ظ هـ ر» فإن الأصل فيه الظهر ومثل مادة «ب ط ن» فإن الأصل فيه البطن وقد أنحى عليهم بالملام قوم هم أحق بذلك منهم فإن الأمر في نفسه صحيح لكن الطريق إليه قد تخفى معالمه فخذ ما صفا ودع ما كدر.

ومن الغريب إطلاق العقيرة على الصوت في قولهم رفع فلان عقيرته والعقيرة الساق المقطوعة وأصله أن رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى وصرخ فقيل بعدُ ولكل رافع صوته قد رفع عقيرته قال ابن جني

(١) الاشتقاق ص ٥٣٣.

في الخصائص «توقّف أبو بكر عن كثير مما أسرع إليه أبو إسحاق من ارتكاب طريق الاشتقاق واحتج أبو بكر عليه بأنه لا يؤمن بأن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها ولم ندر ما حديثها ومثل له بقولهم «رفع عقيرته» أي رفع صوته، قال له أبو بكر فلو ذهبنا نشتق لقولهم «ع ق ر» من معنى الصوت لبعد الأمر جداً وإنما هو أن رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ثم نادى وصرخ بأعلى صوته فقال الناس: رفع عقيرته أي رجله المعقورة قال أبو بكر فقال أبو إسحاق لست ادفع هذا، ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر»(١). ولا يخفى إن مثل هذا قليل، ولو سددنا باب البحث خشية من وقوع الخطأ في بعض المسائل لانسد باب العلم وبقيت أكثر الفنون في حال الكمون، نعم في مثل ذلك زاجر لمن لا يتروى في المسائل ولا يعد في الاستنباط ما يلزمه من الوسائل. ومن هذا النوع كذب في الإغراء فإن ظاهره يبعد عن ذلك يقال كذب كذا أي عليك به قال عنترة:

كذب العتيق وماء شن بارد إن كنت سائلتي صبوحا فاذهب(٢).

أي: عليك بالعتيق، قال محمد بن السري(٣): (أن مضر تنصب به واليمن ترفع) ومعنى كذب عليك البزر أي ألزمه وخذه ووجه ذلك أن الكذب عندهم في غاية الاستهجان ومما يغري بصاحبه ويأخذه المكذوب عليه فصار معنى كذب فلان الإغراء به أي ألزمه وخذه فإنه كاذب فإذا قرن بعليك صار أبلغ في الإغراء كأنك قلت: افترى عليك فخذه ثم استعمل في

(١) الخصائص ج١ ص٢٦٢.

(٢) البيت من البحر الكامل ـ ديوان عنترة ص٥٩ ـ. والصاحبي ص٦٨ وكتاب المعاني الكبير ج١ ص٩٠ وجاء هكذا:

كَذَبَ العَتيقُ وماءُ شنّ باردٍ إنْ كُنتِ سائِلَتي غَبُوقاً فاذْهبي

(٣) هو محمد بن السري أبو بكر بن السراج النحوي أحد العلماء المشهورين باللغة والنحو والأدب أخذ عن المبرد وهو من أكابر أصحابه وأخذ عن ابن السراج أبو القاسم الزجاجي والسيرافي والفارسي وله مصنفات منها الأصول وغيره توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة ـ البلغة ص١٦١/١٦٢ ـ بغية الوعاةج١ص٩٢/٩٣ ـ.

الإغراء بكل شيء وأن لم يكن مما يصدر منه الكذب كقول بعضهم لمن شكا إليه المعص، وهو التواء في عصب الرجل كذب أي عليك العسل أي وهو بالعسلان وهو مشي الذئب أي عليك بسرعة المشي.

ومما ينبغي التروي فيه ما جاء على نهج الإتباع فإنه كثيراً ما لا يكون له حال الإفراد معنى قال النحاة: التأكيد اللفظي ضربان أحدهما: يكون بإعادة اللفظ الأول بعينه نحو جاءني زيد زيد، وثانيهما: يكون بايراد موازنه مع اتفاقهما في الحرف الأخير نحو حسن بسن، وهو ثلاثة أقسام:

أحدهما: أن يكون للثاني معنى ظاهر نحو هنيئاً مريئاً.

وثانيها: أن يكون له معنى أصلاً ولكن ضم إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنى، وإن لم يكن له في حال الإفراد معنى.

وثالثها: أن يكون معنى متكلف غير ظاهر نحو خبيث نبيث، فالنبيث يمكن أن يكون بمعنى الذي ينبث أمور الناس أي يستخرجها من نبثت البئر إذا أخرجت نبيثتها وهو ترابها وكان قياسه أن يقال خبيث نابث لكن قيل نبيث لموازنة خبيث.

ولاعتنائهم بتقارب اللفظين قلبوا واو بوص ياء وذلك في قولهم: «وقعوا في حيص بيص»، قال بعض اللغويين»: (الاتباع هو أن تتبع الكلمة كلمة على وزنها أو رويها تأكيداً).

وقد ألّف ابن فارس فيه كتاباً قال في أوله: (هذا كتاب «الإتباع والمزاوجة»[١]، وكلاهما على وجهين: **أحدهما**: أن تكون كلمتان متواليتان على رويّ واحد. **والوجه الآخر**: أن يختلف الرويان. ثم تكون بعد ذلك على وجهين: **أحدهما**: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف. **والآخر**: أن

(١) لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، ويقال للقزويني المتوفى سنة ٣٩٥هـ، نسبه إليه الجلال السيوطي في المزهر. وفي بغية الوعاة والداودي في طبقات المفسرين وأحمد بن مصطفى في مفتاح السعادة، منه مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥ش لغة فرغ منهما ناسخهما سنة ٧١١هـ واسمه عمر بن أحمد بن الأزرق الشاذلي، نشره رودلف برونو سنة ١٩٠٦م في طبعة تقع في ٢٤ صفحة، ثم حققه بعد كمال مصطفى وطبع بالقاهرة سنة ١٩٤٧م ـ معجم المعاجم ص ١٨٦.

تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بينة الاشتقاق إلا أنها كالاتباع لما قبلها)، روي أن بعض العرب سئل عن هذا الاتباع فقال: (هو شيء نَتِد به كلامنا).

ثم ان الكلمات التي لها معنى معروف قد تكون بمعنى ما قبلها وقد يكون لها غير معناه، وقد كان بعض اللغويين لا يسمى بالاتباع إلا ما لا يكون له معنى إذا جيء به وحده نحو: «نطشان» في قولك: «عطشان، نطشان»، بخلاف قولهم فلان: «قسيم وسيم» فإن «وسيم» قد جاء دون «قسيم»، يقال: رجل «وسيم» أي: «جميل» وامرأة «وسيمة»، والمِيسم الحسن والجمال.

وقال ابن دريد: سألت أبا حاتم عن معنى قولهم «بسن»؟ فقال: لا أدري ما هو. وقد توهم بعضهم من عبارة أبي حاتم أنه يرى أن ذكره من قبيل العبث فرد عليه بأنه يفيد التقوية وليس ذكره سدى ولا يخفى أن أبا حاتم إنما قال: لا أدري ما هو بالنظر إليه وحده، وأما إفادته التوكيد عند مجيئه تابعاً لحسن فهو أمر لا يخفى على أحد من أهل اللغة، ونظير ذلك اعتراض بعضهم على نحاة في قولهم هذا الحرف زائد، وما بعد إذا زائدة فظنوا أن قولهم بذلك يدل على أن في اللغة ما هو من قبيل العبث مع أنهم قد صرحوا في الكتب المبسوطة بأن معنى قولهم: أن هذا زائد أنه إنما جيء به لتوكيد الكلام ولم يحدث معنى وذلك كما من قوله تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾[1] و﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾[2] ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾[3] والباء في قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[4]، ومن أكثر التتبع تبين له أن أكثر الاعتراضات التي يوردها بعض أرباب الفنون على ما ليس من فنهم تكون واهية وكأن بعضهم ارتاع من اعتراض مثل هؤلاء فحاول أن يوجد «لبسن» معنى فقال الأصل في «بسن» «بسّ» و«بس» مصدر بسست حذفت إحدى السينين تخفيفاً وزيدت فيه النون وبني على مثال حسن ومعنى بسن حسن كامل الحسن ويمكن أن يقال وهو الأحسن أبدلت السين الثانية هنا نوناً ولم تبدل ياء على ما هو المألوف في المضاعف رعاية للاتباع

(١) سورة النساء الآية ١٥٥ والمائدة الآية ١٣.

(٢) سورة المؤمنون الآية ٤٠.

(٣) سورة نوح الآية ٢٥.

(٤) سورة الزمر الآية ٣٦.

لأن مذهبهم فيه أن تكون أواخر الكلم على لفظ واحد مثل القوافي والسجع، وقد خلص أبو حاتم بقوله: لا أدري من التعسف وفي مثل هذه المجاهل ينبغي أن يقال أن لا أدري نصف العلم من غير أن يوصل بعض المستدركين لكنه من النصف الذي لا ينفع: ومن الاتباع قولهم هو همزة لمزة، الهمزة والهماز العياب، والهمز مثل الغمز والضغط ومنه الهمز في الكلام تقول همزت الكلمة همزاً وهي كلمة مهموزة لأن الهمز لا بد فيه من ضغط وقيل لأعرابي اتهمز الفارة فقال السنور يهمزها، واللمزة واللماز كالهمزة والهماز وأصل اللمز الإشارة بالعين ونحوها.

عبارة الخليل في العلل التي يذكرها النحويون

قال أبو القاسم عبدالرحمٰن الزجاجي في كتاب «إيضاح علل النحو»: (ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو فقيل له عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: أن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها، وعللت أنا بما عندي إنه علة لما عللته به، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست، وأن يكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أن يكون علة له).

ومثلي في ذلك مثل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة والحجج اللائحة فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وسبب كذا لعلة سنحت له وخطرت محتملة أن تكون علة لتلك فجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة إلا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنحت لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته فليأت بها. وهذا كلام مستقيم وإنصاف من الخليل.

هذا والمراد باللغات السامية فيما سبق ذكره اللغات المنسوبة إلى سام بن نوح «عليه السلام»، وسبب هذه النسبة كون أكثر المتكلمين بها من نسله

وأشهرها العربية والعبرانية والسريانية وقد نشأت هذه اللغات الثلاثة من أصل واحد هو لهن بمنزلة الأم وهي اللغة الآرامية نسبة إلى آرام أحد أبناء سام، وقد عدّت هذه اللغات الثلاث أخوات لما ذكر، ولكثرة التشابه بينهن وقال بعض العلماء كانت لغة العبرانيين في أول الأمر هي السريانية إذ كان جدهم إبراهيم «عليه السلام» سريانياً مولداً وموطناً فلما هاجر إلى أرض كنعان واختلط بنوه بالكنعانيين سكان تلك الأرض تغيرت لغتهم تغيراً ما ونشأت عنها اللغة العبرانية، والكنعانيون هم أولاد كنعان أحد أبناء سام وقد عرفهم بعض اللغويين بقوله: (الكنعانيون أمة تكلمت بلغة تضارع العربية).

* * *

عبارة في اللغة العربية وأخواتها منقولة من كتاب الإحكام

قال الإمام ابن حزم في كتاب «الإحكام لأصول الأحكام»: (لا ننكر اصطلاح الناس على إحداث لغات شتى بعد أن كانت لغة واحدة وقفوا عليها، بها علموا ماهية الأشياء وكيفياتها وحدودها، ولا ندري أي لغة هي التي وقف آدم «عليه السلام» عليها أولاً، إلا أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها وأبينها عبارة وأقلها إشكالاً وأشدها اختصاراً وأكثرها وقوع أسماء مختلفة على المسميات كلها المختلفة من كل ما في العالم من جوهر أو عرض لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[1]. فهذا التأكيد يرفع الإشكال ويقطع الشغب فيما قلناه، وقد قال قوم هي السريانية، وقال قوم هي العبرانية وقال قوم هي العربية، والله أعلم، إلا ان الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حِمْيَر لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرس[2] كالذي

(١) سورة البقرة الآية ٣١.

(٢) جاء في الإحكام في أصول الأحكام «جرش» وهو خطأ والصحيح ما ذكره طاهر الجزائري «جرس» ج١ ص٣٣.

يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي ومن الخراساني إذا رام نغمتهما، ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول أنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة لأخرى[١] تتبدل لغتها تبدلاً لا يخفى على من تأمله.

ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلاً هو في البعد[٢] عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق، فتجدهم يقولون في «العنب العينب» وفي «السوط أسطوط» وفي «ثلاثة دنانير ثلاثاً»[٣]، وإذا تعرب البربري فأراد ان يقول الشجرة قال السجرة وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول مهمد[٤] إذا أراد أن يقول محمد[٥]، ومثل هذا كثير فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبدل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل وإذ قد تيقنا ذلك فالسريانية أصلٌ للعربية وللعبرانية معاً، والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية إسماعيل «عليه السلام» فهي لغته ولغة ولده والعبرانية لغة إسحاق ولغة ولده، والسريانية بلا شك هي كانت لغة إبراهيم (صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم) بنقل الاستفاضة الموجب[٦] لصحة العلم فالسريانية أصل لهما)[٧].

❋ ❋ ❋

---

(١) جاء في الإحكام في أصول الأحكام «فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى» ج١ ص ٣٣.

(٢) جاء في الإحكام في أصول الأحكام «العبد» وهو خطأ والصحيح ما ذكره طاهر الجزائري «البعد» ج١ ص٣٣.

(٣) جاء في الإحكام في أصول الأحكام «ثلثدا» ج١ ص٣٣.

(٤) جاء في الإحكام في أصول الأحكام «مهمدا» ج١ ص٣٣.

(٥) جاء في الإحكام في أصول الأحكام «محمدا» ج١ ص٣٣.

(٦) جاء في الإحكام في أصول الأحكام «الموجبة لصحة العلم «ج١ص٣٤.

(٧) الإحكام في أصول الأحكام ج١ ص٣٢/٣٣/٣٤. وانظر علم اللغة ـ تفرع اللغة إلى=

الألف ومعناها

هذا ولنعد إلى أصل الكلام فنقول أن كل كتاب رتب على حروف المعجم ابتدأ بالألف وإنما قدمت لتقدمها في حروف أبجد التي هي الأصل ولتقدم مخرجها على سائر المخارج فإنها من أقصى الحلق[١] ولكثرة ورودها في الكلام وقد قيل: أن جميع أهل اللغات المشهورة يبتدؤن بالألف عند تعداد الحروف إلا الحبشة. والمراد بالألف هنا الهمزة[٢] لا ألف المد لأنها لا توجد في أوائل الكلم حتى عند الذين يجوزون الابتداء بالساكن لأنها لا تحدث إلا إذا سبقها حرف متحرك بالفتحة إذا مد فمن ثم لم توجد إلا في الوسط أو في الآخر، على أن الألف في أصل الوضع كان اسماً للهمزة، وأما ألف المد كألف قال فلم يجعل لها الواضع اسماً لعدم استقلالها بنفسها وإنما يطلق عليها الألف مجازاً حيث تظهر بصورته في الكتابة وإنما كتب بصورة الألف لأن الألف كثيراً ما تقلب إليها حين التخفيف وذلك في مثال «سأل» و«قرأ»، قال المحققون: أن الواضع لأسماء الحروف قد راعى أمراً بديعاً وهو انه جعل مسمى كل حرف في صدر اسمه ولا يخفى أن أول الألف هو

= لهجات ولغات ص ١٦ ـ عبدالواحد وكذلك كتابه القيم فقه اللغة فصل اللهجات العامية عوامل تطورها وصفاتها المشتركة ص١٣١ إلى ص١٤٨. وانظر تاريخ آداب العرب فصل شيوع اللغة العامية وفساد العربية ص ١٦٥/١٦٦ وكذا فصل لهجات العامية وأسباب اختلافها ص١٦٧/١٦٨/١٦٩/١٧٠/١٧١/١٧٢/١٧٣. وانظر التأثير المتبادل بين العربية واللغات الأخرى ص٣٧٨ وهو جزء من بحث «واقع اللغة العربية عربياً وعالمياً» للدكتور شحادة الخوري نشر في مجلة المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر.

(١) بالنسبة لموضوع مخارج الحروف وسبب حدوث الصوت وتشريح الحنجرة واللسان والصدر والسبب الجزئي لكل حرف من حروف العرب وغير العرب عليك برسالة العلاّمة الطبيب الرئيس ابن سينا «أسباب حدوث الحروف» راجعها وقدم لها طه عبدالرؤوف سيد، ط: مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، وانظر سعة الحروف العربية لجميع اللغات في كتاب حياة اللغة العربية ص١٥٤.

(٢) قواعد الإملاء ص٥.

الهمزة، وقد وهم من ظن أن الألف كانت في الأصل اسماً لذلك الحرف الذي لا يقوم بنفسه فقال: أن الذي يذكر في حروف التهجي هو الألف لا الهمزة، وكل الحروف قد صدر فيها المسمى بالاسم إلا الألف فإنه لا يتأتى فيه تصدير الاسم بالمسمى.

❋ ❋ ❋

في أن الهمزة[1] اسم حدث فيما بعد

وأما الهمزة فهو اسم حدث فيما بعد ولما شاع كثر إطلاقه على الألف وكثر إطلاق الألف على ذلك الحرف الذي لا يستقل بنفسه حتى صار لفظ الألف كأنه خاص به، وهذا في عرف المتأخرين.

وأما المتقدمون فإطلاق الألف على الهمزة شائع عندهم ذائع فيقولون هذه ألف قطع وهذه ألف وصل وهذه ألف استفهام، وأما لفظ الهمزة فلم يطلقه أحد على ألف المد أصلاً، وفرق بعضهم بين النوعين فسمى ألف المد بالألف اللينة والهمزة بالألف اليابسة، وقد أطلق بعضهم الألف المتحركة على الهمزة مع أنها قد تكون ساكنة اعتماداً على فهم المقصود من ذلك لأنها في مقابلة ألف المد التي لا تقبل الحركة وينبغي ان لا يذكر الألف مطلقاً في موضع يقع فيه التباس، والذي حملنا على إطلاقها هنا ما ذكرنا من أن ألف المد لا توجد في أوائل الكلم فارتفع اللبس ولأنه الاسم الأول للهمزة ولأن حروف المعجم لا يذكر فيها غيره ولذا التزم كثير ممن رتب كتبهم على حروف المعجم أن لا يطلق غير هذا اللفظ في العنوان ولأنه الوارد في الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[2]، نعم يقع الالتباس في هذا الموضع في كتب اللغة التي جعلت

---

(١) قواعد الإملاء ص ٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١، ٢.

الباب معقوداً لآخر الكلمة كالصحاح فإن أواخر الكلم كثيراً ما توجد فيها الألف اللينة غير أن صاحب «الصحاح» قد رفع اللبس بقوله باب الألف المهموزة.

❋ ❋ ❋

في الألف اللينة

واعلم ان الألف اللينة(١) لا تكون أصلاً في الأسماء المتمكنة والأفعال وإنما تكون فيهما زائدة كألف «قتال» و«قاتل» أو منقلبة عن واو أو ياء كألف «قال» و«باع» و«غزا» و«رمى» وأما الحروف «كما» و«لا» والأسماء المتشابهة لها كذا، و«مهما» والأسماء المعربة «كالدانق»، فالألف فيها أصلية وقد عرفت أن أرباب اللغة لا يعتبرون الحرف الزائد، وأما الحرف المنقلب عن غيره فيعتبرون الحرف الذي انقلب عنه فيذكرون «غزا» في غزو ورمى في رمي وقد عقد صاحب «الصحاح» للألف اللينة باباً على حدة جعله في آخر الكتاب إتماماً للمقصود قال فيه: باب الألف اللينة، لأن الألف على ضربين لينة ومتحركة فاللينة تسمى ألفاً والمتحركة تسمى همزة، وقد ذكرنا الهمزة وذكرنا أيضاً ما كانت الألف فيه منقلبة من الواو والياء وهذا الباب مبني على ألفات غير منقلبات من شيء فلهذا أفردناه. فإن قلت: أن الجمهور قد جعلوا الباب معقوداً لأول الكلمة والفصل لثانيها فكان يمكنهم أن يجعلوا في كل باب فصلاً للألف اللينة فلم لم يفعلوا ذلك؟ قلت: تركوا ذلك لقلة الكلمات التي ثانيها ألف لينة أصلية وأما الأسماء المعربة «كدانق» و«آب» ونحو ذلك فذكروها في أشبه المواضع بها وهي المواضع التي يظن أن الباحث يتحراها فيها، فذكروا دانق في «دنق» وآب في «أوب» واستبرق في «برق» وقس عليه غيره، واختلف في الهمزة والألف فقيل: هما متحدتان

---

(١) الألف اللينة وهي التي لا تقبل الحركة ولها موضعان الوسط والطرف ـ قواعد الإملاء ص ١٨ ـ.

بالذات غير أن في الهمزة شدة رفعتها للحلق فالفرق بينهما كالفرق ما بين النون الساكنة والمتحركة فأنهما متحدتان مع أن بينهما فرقاً وهي أن النون الساكنة تخرج من الخيشوم بدليل أنك لو أمسكت بأنفك ثم نطقت بها لوجدتها مختلفة بخلاف النون المتحركة، وإن كان فيها بعض غنة تخرج من الأنف وقيل هما مختلفتان بدليل اختلاف المخرج فإن الهمزة من الحلق والألف من الجوف، وعلى الحالين فلا ينبغي أن يخلط بينهما كما فعل بعض اللغويين حين أراد ذكر معناهما بل يجب ذكر كل واحدة منهما على حدة.

❊ ❊ ❊

الهمزة وما يتعلق بها من المباحث

وقد أفاض العلماء في أمر الهمزة[١] وما ذكروه فيها يبلغ سفراً ضخماً لكثرة ما لها من الأحوال وقد أحببنا أن نورد هنا أقل ما يمكن إيراده في مثل هذا المقام فنقول إن الهمزة قد تكون من حروف المعاني وقد تكون من حروف المباني فإذا كانت من حروف المعاني فقد تكون للنداء إذا كان المنادى قريباً كقول امرئ القيس[٢]:

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل   وإن كنت قد ازمعت صرما فأجملي[٣]

وقد تكون للإستفهام ومعناه طلب الفهم نحو «أزيد قائم» و«ارأيت

(١) انظر رسالة العلّامة عبدالسلام هارون «قواعد الإملاء».

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي وهو من أهل نجد من الطبقة الأولى - الشعر والشعراء ص ٥٥ -.

(٣) البيت في ديوان امرؤ القيس ص ١٢ من معلقته ويوجد في جمهرة أشعار العرب ص ٤١ شواهد مغني اللبيب ج١ ص٤ والشعر والشعراء ص٦٧ وشرح المعلقات العشر ص ٢٧ وفي شرح المعلقات السبع ص١٥ جاء هكذا: «وَإن كنتِ قد ازمعتِ صَرْمي فأجملي».

عمراً» ويجوز مدها إذا جاء بعدها همزة نحو: ﴿أأنت فَعَلْتَ هَـٰذَا﴾[١] قال ذو الرمة[٢]:

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آ أنت أم أمّ سالم[٣].

فصل بين الهمزتين بالألف فراراً من ثقلهما قال بعض العلماء: هذا إذا لم تكن الهمزة الثانية ممدودة فإن كانت ممدودة امتنع مدّ الأولى لما في اجتماع همزتين وألفين من الثقل الشديد نحو آآسيت زيداً وآآخيت عمراً.

وقد تخرج الهمزة عن الاستفهام[٤] فترد لنحو ثمانية معانٍ مذكورة في كتب النحو وإذا كانت من حروف المباني فهي ثلاثة اضرب أصل وبدل وزائدة، ومعنى كونها أصلاً أن تكون فاء الفعل نحو «أمر» و«أمن» و«أنف» و«أذن» و«أبره» أو عينه نحو «سأل» و«سئم» و«ضؤل» و«بأس» و«ذئب» و«بؤس» أو لامه نحو «قرا» و«وطيء» و«وطؤ» و«مرء» و«ردء» و«رزء»، ولم تجيء كلمة فاؤها وعينها همزة ولا عينها ولامها همزة لما في النطق بالهمزة من التكلف فإذا كرهوا الهمزة الواحدة فهم بكره الثنتين لا سيما إذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين أحرى فليس في الكلام لفظة توالت فيها همزتان وهما أصلان البتة. وقد جاءت أسماء محصورة وقعت الهمزة فيها فاء ولاماً نحو «آءة» و«أجأ» لوجود الفصل بينهما.

وذهب سيبويه في «ألاءة» و«أشاءة» و«أباءة» إلى أنهما فعالة، ولامها همزة و«الالاءة» واحدة «الالاء» وهو شجر مر يدبغ به، والإشارة واحدة

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٦٢ ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ رواية ورش عن نافع.

(٢) ذو الرمة هو: غيلان بن عقبة بن بهيش ويكنى أبا الحرث وهو من بني صعب بن ملكان بن عدي بن عبد مناة ـ الشعر والشعراء ص٣٨٥ ـ.

(٣) البيت في ديوان ذي الرمة ص٦٢٢ وهو من البحر الطويل. والخصائص ج٢ ص٢١٩ وأمالي القالي ص ٣٢٢ وشرح أدب الكاتب ص ١٨٧ وأمالي ابن الحاجب ج٢ص ١٥٦ وجاء البيت في اللمع ص ١٧٠ هكذا: «هيا ظبية» وانظر الكامل ص٤٧٩ جاء هكذا: «فيا ظبية».

(٤) انظر رسالة العلاّمة عبدالسلام هارون قواعد الإملاء.

الأشآء وهي صغار النخل. والاباءة واحدة الاباء وهي الأجمة من القصب وكلها بالفتح وذهب أبو بكر محمد بن السريّ المعروف بابن السراج إلى أن الإباءة من ذوات الياء فهي من أبيت وأصلها عنده أباية. وإنما حملها على معنى أبيت لما أن الأجمة ممتنعة بما ينبت فيها من القصب وغيره من السلوك فكأنها أبت وامتنعت على سالكها.

ومعنى كون الهمزة زائدة أن لا تكون فاء الفعل ولا عينه ولا لامه وذلك نحو همزة أكرم وإثمد وإكليل وشمأل(١) وضهيأ(٢).

ومعنى كونها بدلاً أن تقوم مقام حرف اما ضرورة واما استحساناً وقد أبدلت من خمسة أحرف وهي الألف والواو والياء والهاء والعين.

واما إبدالها من الألف ففي العالم في قول العجاج(٣):

يا دار سلمى يا اسلمى ثم آسلمى فخندف هامة هذا العألم(٤).

فقد روي أنه كان يهمز «العالم»، وأما إبدالها من الواو والياء ففي «اقّتت» في «وقّتت» وفي أديه في قولهم: «قطع الله أديه» يريدون يديه، وفي مثل قام وباع وأصله قوم وباع وأصله بيع وفي مثل «قائم» و«بائع» وفي مثل «علاء» و«كساء» و«قضاء» و«سقاء» وأصلها «علا» و«كساو» و«قضاي» و«سقاي» لأنها من «علوت» و«كسوت» و«قضيت» و«سقيت» وقد أبدلت الواو همزة بدلاً مطرداً إذا ضمت ضماً لازماً وذلك نحو: «أثؤب» قال في «الصحاح»: (الثوب واحد الأثواب والثياب ويجمع القلة على أثوب وبعض العرب يقول: أثؤب فيهمز لأن الضمة على الواو تستثقل، والهمزة أقوى

---

(١) الخصائص ج١ ص١٧٥ وص ٣٦٨.

(٢) الضهيأ هي التي لا ثدي لها أو هي التي لا تحيض ـ الخصائص ج١ ص٣٦٨.

(٣) العجاج: الشعر والشعراء ص٤٢٩ وهناك راجز آخر اسمه عبدالله بن رؤبة من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم انظر الشعر والشعراء ص٣٢٧ واكتفاء القنوع ص ٢٦٢.

(٤) الرجز في الخصائص ج١ ص ٥٤٠ وج٢ ص ٦٦ جاء برواية: «يا دار هند يا أسلمي ثم أسلمي» وانظر المعالم في الخصائص ج١ ص١٧٥، الرجز في ديوانه ٤٤٢/١.

على احتمالها وكذلك «دار» و«ادؤر» و«ساق» و«اسؤق» وجميع ما جاء على هذا المثال) ونظير ذلك قؤول وما أشبهه.

قال سيبويه: «واعلم أن هذه الواو إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها وذلك نحو قولهم في «وُلد أُلد». وفي «وجوه أوجه»، وإنما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمة كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو«قؤول» و«مؤون»، وأما الذين لم يهمزوا فتركوا الحرف على أصله كما يقولون: «قؤول» فلا يهمزون، وإذا التقت واوان في أول الكلمة لم يكن بدّ من همز الأولى وذلك «كالأواقي» في جمع «واقية» وأصلها «وواقي»، لأنها فواعل إلا أنهم كرهوا اجتماع الواوين فقلبوا الأولى همزة، وقد أبدلت الهمزة من الياء الزائدة في نحو قولهم: «حرباء» و«علباء»، وأما إبدال الهمزة من الهاء ففي قولهم: «ماء» وأصله «موه» لقولهم في الجمع «أمواه»، وفي قولهم: «آل» وأصله «أهل» أبدلت الهاء همزة فتوالت همزتان فأبدلوا الثانية ألفاً كما أبدلوها في «آخر» و«آمن» ثم خصوه بأشرف المواضع التي يستعمل فيها «أهل» ولم يستعملوه في كل موضع يستعمل فيه «أهل» وأما إبدالها من العين فقد وقع في «أباب» بحر أي: في عبابه وهو شاذ، وقال ابن جني: (هو من أبّ إذا تهيأ وذلك ان البحر يتهيأ لما يزخر به، فلهذا كانت الهمزة أصلاً غير بدل من العين وإن قلت: أنها بدل منها فهو وجه وليس بالقويّ ومن أراد استيفاء هذه المباحث وما شاكلها فلينظر في كتابه المسمى «بسر الصناعة»)[(١)].

ولنرجع إلى إبدال الهمزة من الألف فإنه أهم في هذا الموضع من غيره فنقول: قد همز بعضهم «الضالين» وشابّة ودابّة، وعلة ذلك أنهم كرهوا اجتماع الساكنين فحركوا الألف لالتقائهما فانقلبت همزة، لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف إليه وهو الهمزة، وذكر بعض العلماء: أن أصل «اطمأن» «اطمان» مثل «ادهام»، لكنهم همزوا على غير قياس فراراً من الساكنين وقيل أصله «طأمن»

(١) هو سر صناعة الإعراب لابن جني.

لكن أخرت في «اطمأن» على غير قياس بدليل قولهم «طأمن» ظهره إذا خفضه، وجاء الشعر «ادهأم» بالهمزة في «إدهام» بالألف، وقد قلب بعض العرب كل ألف وقعت في آخر الكلمة همزة في الوقف، قال ابن جني: (حكى سيبويه في الوقف هذه «حُبْلأ» يريد «حبلى»، ورأيت «رجلأً» والهمزة في «رجلأ»، إنما هي بدل من الألف التي عوض من التنوين في الوقف ولا ينبغي ان تحمل على انها بدل من النون لقرب ما بين الهمزة والألف وبعد ما بينها وبين النون ولأن «حبلى» لا تنوين فيها وإنما الهمزة فيها بدل من الألف البتة فكذلك همزة «رأيت رجلأ»، وحكي أيضاً: «هو يضربهأ» وهذا كله في الوقف فإذا وصلت قلت: «هو يضربها» يا هذا ورأيت حبلى أمس).

***

«تنبيه»

قال بعض علماء اللغة: لا توجد الهمزة في الكلام العجم إلا في الابتداء وهذا القول صحيح لوروده في مورد الإجمال وهو سائغ إذا اقتضاه الحال وإن أريد نوع من التفصيل قيل ان مهموز العين يوجد في السريانية غير أنه فيها قليل وفي العبرانية وهو فيها أقل مما في السريانية وأما مهموز اللام فلا يكاد يوجد فيها، وأكثر ما هو مهموز اللام في العربية هو ناقص في السريانية نحو: «قرا» و«برأ».

والمشهور عند السريانيين كما ذكر بعضهم تخفيف الهمزة فإن كانت متحركة وكان ما قبلها ساكناً نقلت حركتها إلى ما قبلها ثم حذفت هي، وان كانت ساكنة قلبت حرف مدّ يجانس حركة ما قبلها ـ وبهذا تعلم أن المختص باللغة العربية هي الهمزة الساكنة نحو همزة «رأس» و«بؤس» و«بئس» واقرأ عند من يحققها دون من يقلبها حرف مد كالسريان هذا، ولما كان العرب أكثر الأمم تفنناً في الهمز وهو حرف فيه ثقل حاولوا الخلاص منه فتفننوا في تخفيفه وأكثرهم محاولة لذلك أهل الحجاز لاسيما قريش ولذلك كان أكثر ما يرد في القراءات من تخفيف الهمزة إنما جاء من طرقهم كابن كثير من رواية ابن فليح

وكنافع من رواية ورش وكأبي عمرو فإن مادة قراءته عن أهل الحجاز، وأما ما يروى من أنه قيل للنبي «عليه السلام» يا نبيء الله فقال: (إنا معشر قريش لا ننبر) فهو منكر قال علماء اللغة: (النبر همز الحرف).

وطرق التخفيف عندهم أربعة: النقل: وهو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ثم حذفها نحو: ﴿قَدَ أَفْلَحَ﴾[1]، بفتح الدال وبه قرأ نافع من طريق ورش

والإبدال: وهو ان تبدل الهمزة الساكنة حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها فتبدل ألفاً بعد الفتح نحو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾[2]، وواواً بعد الضم نحو: ﴿**يومنون**﴾ وياء بعد الكسر نحو: ﴿**جيت**﴾ وبه يقرأ أبو عمرو سواء كانت الهمزة فاءً أو عيناً أو لاماً الا ان يكون سكونها جزماً نحو: ﴿**ننسأها**﴾ ونحو: ﴿**أرجئه**﴾، أو يكون ترك الهمز فيه اثقل وهو: ﴿**تؤوي إليك**﴾[3]، أو يوقع في الالتباس وهو رئياً.

والتسهيل: وهو إن تأتي بالهمزة بين الهمزة وبين حرف حركتها وتجعل الحركة التي عليها مختلسة سهلة بحيث تكون كالساكنة فإن كانت مفتوحة كهمزة «سأل» جعلت بين الهمزة والألف وإن كانت مكسورة كهمزة «سئم» جعلت بين الهمزة والياء وإن كانت مضمونة كهمزة «لؤم» جعلت بين الهمزة والواو ولا تقع الهمزة المخففة أولاً أبداً لقربها بالضعف من الساكن وهي مع كونها ليس لها تمكن الهمزة المحققة بمنزلتها في الزنة قال الأعشى[4]:

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١ رواية الإمام ورش عن الإمام نافع.

(٢) سورة طه الآية ١٣٢ رواية الإمام ورش عن الإمام نافع.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٥١.

(٤) هو الأعشى ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن... كانوا يسمونه صناجة العرب لجودة شعره توفي سنة ٧ للهجرة و٦٢٩ للميلاد ـ شرح المعلقات العشر ص١٨٨ ـ. والشعر والشعراء ص١٦٩. ومعجم الشعراء ص ٣٨٢.

أأن رأت رجلا أعشى أضرّ به ريب المنون ودهر مفسد خبل[١]

فلو كانت الهمزة الثانية ساكنة بسبب جعلها بين بين لانكسر وزن البيت.

والإسقاط بلا نقل: وبه قرأ أبو عمر، وقال سيبويه «واعلم أن الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة فإن أهل التحقيق يخففون إحداهما: ويستثقلون تحقيقهما لمل ذكرت لك كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا».

ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة وهو قول أبي عمرو وذلك قولك: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ و ﴿يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾[٢].

ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة سمعنا ذلك من العرب وهو قولك: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[٣]. ويا زكرياء آنا (هذا)، ولما رأى بعض الباحثين في اللغات السامية كثرة الهمز في العربية وقلته في أختيها أشار إلى ان الظاهر إنه أشار إلى أن الظاهر أنه كان شائعاً فيهما إلا أنه قل فيما بعد لسبب من الأسباب غير أن ما ذكرنا من قلته في لغة قريش التي هي أقرب لغات العرب إلى العبرانية والسريانية يدل في بادئ الرأي على أن الأصل في هذه اللغات قلة الهمز.

وقد نقل في الإتقان فائدة مهمة عن ابن مجاهد فيها ما يتعلق بالهمز[٤] قال: إذا شك القارئ في حرف هل هو بالتاء أو بالياء؟ فليقرأه بالياء فإن القرآن مذكر، وأن شك في حرف هل هو مهموز أو غير مهموز

---

(١) البيت في شرح المعلقات العشر ص٢٠٦ رقم البيت ٢٠ والتكملة ص١٤ برواية «ريب المنون ودهر متبل خبل» وانظر غير مأمور في نفس الكتاب من التكملة - باب الابتداء بالكلم التي يلفظ بها - وفي ديوان الأعشى جاء البيت هكذا: «ريب المنون ودهر مفند خبل».

(٢) سورة مريم الآية ٧.

(٣) سورة محمد الآية ١٨.

(٤) الإتقان ج١ ص١٢٩.

فليترك الهمز، وإن شك في حرف هل يكون موصولاً. أو مقطوعاً فليقرأ بالوصل، وإن شك في حرف هل هو ممدود. أو مقصور فليقرأ بالقصر، وإن شك في حرف هل هو مفتوح. أو مكسور فليقرأ بالفتح لأن الأول غير لحن في موضع.

والثاني: لحن في بعض المواضع. وأشار بقوله فإن القرآن مذكر إلى ما أخرجه عبدالرزاق عن ابن مسعود قال: (إذا اختلفتم في ياء وتاء فاجعلوها ياء ذكروا القرآن)، وقد فهم منه ثعلب، أن ما احتمل التذكير والتأنيث[١] فتذكيره أجود قال بعض العلماء: مراده انه إذا احتمل اللفظ التذكير والتأنيث ولم يحتج في التذكير إلى مخالفة المصحف ذكر، نحو: **﴿ولا تقبل منها شفاعة﴾**[٢]. ويدل على ذلك أن أصحاب عبدالله بن مسعود من قراء الكوفة كحمزة[٣] والكسائي[٤] ذهبوا إلى هذا فقرؤا ما كان من هذا القبيل بالتذكير نحو: **﴿يوم يشهد عليهم ألسنتهم﴾**[٥]. وهذا في غير الحقيقي.

قال ابن السيد في «الاقتضاب» عند قول صاحب «أدب الكتاب[٦] باب

---

(١) الفصيح ص١٤٧، والإتقان ج١ ص ٢٤٨/٢٤٧ «قاعدة في التذكير والتأنيث».

(٢) سورة البقرة الآية ٤٨ ﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾.

(٣) توفي حمزة سنة ١٥٦هـ على الصواب ومولده سنة ٨٠ وكان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش وكان ثقةً كبيراً حجةً رضياً قيماً بكتاب الله مجوداً عارفاً بالفرائض والعربية حافظاً للحديث ـ النشر ج١ ص١٣٣ ـ.

(٤) هو علي بن حمزة بن يهمن بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي المعروف بالكسائي الإمام المعلم المقرىء، أو كان يتشح بكساء أو أصله من باكسايا قرية ببغداد توفي بطوس سنة ١٧٩هـ ـ البلغة ص١٢٤/١٢٥ ـ.

(٥) سورة النور الآية ٢٤ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾.

(٦) هو عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي الإمام العلامة سكن بلنسية له التصانيف الجليلة منها كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب وكتاب الحلل على أبيات الجمل للزجاجي وكتاب التنبي على الأسباب الموجبة للخلاف بين الناس في مذاهبهم وله شرح الموطأ وكتاب المثلث وكتاب المسائل والأجوبة وإثبات النبوات وشرح سقط الزند للمعري ووضع للفتح بن خاقان مصنفاً في ذكر فضائله ما سنة ٥٢١هـ ـ البلغة ص ١٠٢/١٠٣.

الأفعال التي تهمز والعوام تدع همزها»[١] ذكر في هذا الباب «أطفأت السراج»، «وقد استخذأت له» «وخذأت» و«خذيت» لغة، وذكر فيه هذا موضع «ترفأ فيه السفن»، فأنكر على العامة ترك الهمز في هذه الألفاظ ثم أجاز في باب ما يهمز أوسطه من الأفعال ولا يهمز بمعنى واحد أرفأت السفينة وأرفيتها وأطفأت النار وأطفيتها ـ ثم قال: وقد حكي أن من العرب من يترك الهمز في كل ما يهمز إلا أن تكون الهمزة مبتدأ بها حكى ذلك الأخفش.

❋ ❋ ❋

طريقة المتأخرين في ضبط الكلم

هذا وقد جرينا في ضبط الكلم في هذا الكتاب على طريقة المتأخرين فإنهم ضبطوا كل لفظ يخشى فيه الاشتباه على الجمهور إما بذكر مثال له مشهور، وإما بذكر حركاته التي يقع فيها اللبس.

مثال الأول قولهم: «النور» بالضم الضوء، و«النورة» حجر الكلس. و«النور» بالفتح الزهر، والواحدة «نورة» و«النُوّارُ» بالضم والتشديد مثله، والواحدة «نوارة» ونورت الشجرة وأنارت أخرجت نورها، و«المنار» بالفتح علم الطريق، و«المنارة» ما يوضع فوقها السراج.

ومثال الثاني قولهم: «النمر» ككتف سبع معروف، و«أبو قبيلة» وهو النمر بن قاسط. والنسبة إليه نمري بفتح الميم وماء نمير كسمير ناجع عذباً كان أو غير عذب ونمرى كذكرى قرية من نواحي مصر.

وكثيراً ما يضمّون إلى المثال ذكر بعض الحركات مع كون المثال كافياً في المرام خشية أن يكون ذلك المثال مجهول الضبط عند بعض الناظرين في كتبهم أو مضبوطاً عندهم لكن على وجه يخالف الصواب مثال ذلك

---

(١) انظر شرح أدب الكاتب باب الأفعال ص١٩٨ وباب ما لا يهمز والعوام تهمزه ص٢٠٣.

(الباب الخامس): فَعُل يفعُل بضم العين في الماضي والمضارع والمذكور منه ميزانان ظرف يظرف ظرافة سهل يسهل سهولة[١].

(الباب السادس): فَعِل يفعِل بكسر العين في الماضي والمضارع كوثق يثق وثوقاً ونحوه وهو قليل فلذلك لم نذكر منه ميزاناً نرده إليه بل حيث جاء في الكتاب تنص على وزانه ووزان مصدره وإنما خصصت هذه الموازين العشرين بالذكر دون غيرها لأني اعتبرتها فوجدتها أكثر الأوزان التي يشتمل عليها هذا المختصر.

❋ ❋ ❋

«قاعدة أولى»

اعلم أن الأصل والقياس الغالب في أوزان مصادر الأفعال الثلاثية أن فعل متى كان مفتوح العين كان مصدره على وزن فعل بسكون العين إن كان الفعل متعدياً وعلى وزن فعول إن كان الفعل لازماً مثاله من الباب الأول نصر نصراً قعد قعوداً ومن الباب الثاني ضرب ضرباً جلس جلوساً ومن الباب الثالث قطع قطعاً خضع خضوعاً ومتى كان فعل مكسور العين ويفعل مفتوح العين كان مصدره على وزن فعل أيضاً إن كان الفعل متعدياً وعلى وزن فعل بفتحتين إن كان لازماً مثاله فهم فهما طرب طرباً ومتى كان فعل مضموم العين كان مصدره على وزن فعالة بالفتح أو فعولة بالضم أو فعل بكسر الفاء وفتح العين وفعالة هي الأغلب مثاله ظرف ظرافة سهل سهولة عظم عظماً هذا هو القياس في الكل وأما المصادر السماعية فلا طريق لضبطها إلا السماع والحفظ والسماع مقدم على القياس فلا يصادر إلى القياس إلا عند عدم السماع.

❋ ❋ ❋

(١) مختار الصحاح ص٨/٧.

تتعلق بما نحن في صدد بيانه فأحببت إيرادها هنا إتماماً لهذا المبحث الذي لا ينبغي للمشتغل بعلم اللغة أن يغفل عنه قال:

(وكل ما أهمله الجوهري من أوزان مصادر الأفعال الثلاثية التي ذكر أفعالها ومن أوزان الأفعال الثلاثية التي ذكر مصادرها فإني ذكرته إما بالنص على حركاته أو برده إلى واحد من الموازين العشرين التي أذكرها الآن إن شاء الله تعالى، إلا ما لم أجده من هذين النوعين في أصول اللغة الموثوق بها والمعتمد عليها فإني قفوت أثره رحمه الله تعالى في ذكره مهملاً لئلا أكون زائداً على الأصل شيئاً بطريق القياس، بل كل ما زدته فيه نقلته من أصول اللغة الموثوق بها، وأبواب الأفعال الثلاثية محصورة في ستة أنواع لا غير).

(**الباب الأول**): فَعَلَ يفعُل بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع والمذكور منه سبعة موازين نصرَ ينصرُ نصراً دخل يدخُل دُخولاً كتب يكتب كتابة رد يرد رداً قال يقول قولاً عدا يعدو عدواً سما يسمو سمواً.

(**الباب الثاني**): فعَل يفعِل بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع والمذكور منه خمسة موازين ضرب يضرِب ضرباً جلس يجلس جلوساً باع يبيع بيعاً وعد يعد وعداً رمى يرمي رمياً.

(**الباب الثالث**): فعَل يفعَل بفتح العين في الماضي والمضارع والمذكور منه ميزانان قطع يقطع قطعاً خضع يخضع خضوعاً.

(**الباب الرابع**): فعِل يفعَل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع والمذكور منه أربعة موازين طرب يطرب طرباً فهم يفهم فهماً سلم يسلم سلامة صدئ يصدأ صدأً.

= فصار المختار أصح من الصحاح وهو بالحقيقة جوهرة من الجواهر ط. عدة طبعات في مطابع مختلفة من العالم الإسلامي - انظر اكتفاء القنوع ص **٣٢٢** - وانظر شيء من التفصيل في معجم الجيم ص ٦٢ -.

قول الجوهري: (زهرة الدنيا) بالتسكين غضارتها وحسنها وزهرة النبات أيضاً نوره وكذلك الزهرة بالتحريك، وقوله: «عثر» مخففاً بلد باليمن وعثّر بالتشديد موضع وقوله: «القمطر» و«القمطرة» ما يصان فيه الكتب قال ابن السكيت[١] :لا يقال بالتشديد وينشد:

ليس بعلم ما يعي القمطر ما العلم إلا ما وعاه الصدر[٢]

وكثيراً ما يطلق التخفيف ويريد به التسكين مثال ذلك قوله: «طرسوس» اسم بلد ولا يخفف إلا في ضرورة الشعر لأن فعلولا ليس من ابنيتهم وقوله: «القربوس» للسرج ولا يخفف إلا في الشعر مثل: «طرسوس» وعبارة «القاموس» «قربوس» كحلزون ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر حِنْوُ السرج وهما قربوسان.

❋ ❋ ❋

مقدمة مختار الصحاح[٣] وهي مما يتعلق بذلك

وقد أورد صاحب «مختار الصحاح» في مقدمة كتابه المذكور فوائد

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق أبو يوسف المعروف بابن السكيت، والسكيت لقب أبيه إسحاق إمام اللغة والنحو والأدب ومن أهل الدين والخير... ومن مصنفاته إصلاح المنطق وكان سبب موته أن المتوكل قال له من أعز عندك؟ ولداي أم الحسن والحسين فقال قنبر خير منهما فأمر الأتراك فداسوا بطنه إلى أن مات توفي سنة ٢٤٣ هـ ـ البلغة ص١٩٨/١٩٩ ـ وفي بغية الوعاة سنة ٢٤٤ ج٢ ص ٣٤٢/٣٤٣، وطبقات النحويين واللغويين ص ٢٠٢/٢٠٤، ومراتب النحويين ص١١٦.

(٢) البيت من الرجز بلا نسبة في الامتاع والمؤانسة ج٢ص٢٥٥، وفي جامع بيان العلم وفضله ج١ ص٨٢، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث ج٢ ص ١٤٦ للخليل جاء هكذا:

لَيسَ بِعِلمٍ ما حَوَى القِمَّطْرُ ما العلم إلا ما حواه الصدر

(٣) اختصره محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي فرغ من تلخيصه سنة ٧٦٠ قلنا اختصره عن صحاح الجوهري واستعان أيضاً بكتاب التهذيب للأزهري الهروي...=

سكونه في الغالب لأنه جاء على الأصل فإذا كان محركاً فإن كان محركاً بالضمة أو الفتحة نصوا على ذلك وإذا كان محركاً بالفتحة اكتفوا بالإشارة إلى كونه محركاً لأن الفتحة هي الأصل في الحركات وكثير من اللغويين يستعمل عوض قوله: بالتحريك أو محركاً، قوله: بفتحتين نحو قول بعضهم الكبد بفتحتين المشقة من المكابدة للشيء - وقوله: الكتم بفتحتين نبت فيه حمرة يخلط بالوسمة ويختضب به للسواد، وقوله: «الكثب» بفتحتين القرب تقول هو «يرمي من كثب» (هـذا)، ومثل ماضي الثلاثي مضارعه فإن موضع الحركة فيه هو العين غير أن العين فيه تكون هي الحرف الثالث، فإذا قيل: يكتب بالضم كان موضع الضم فيه هو الثالث وهو التاء إلا في مثل «يقرّ» فإن موضع الحركة فيه يكون هو الثاني لانتقالها من الثالث إليه، وقد جرت عادتهم في الأبواب الثلاثة الأول من الثلاثي إذا ضبطوها بالحركات أن يذكروا الماضي والمضارع ويكون الضبط فيه للمضارع لاستغناء الماضي حينئذٍ عن الضبط إذ يعلم بذلك كونه مفتوح العين مثال ذلك قول الجوهري: (الخلابة) الخديعة باللسان تقول: منه خلبه يخلبه بالضم واختلبه مثله، وقوله: نسبت الرجل أنسبه بالضم نسبة ونسباً إذا ذكرت نسبه - ونسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر نسيباً إذا شبب بها، وقوله: «اللغوب» التعب والاعياء، تقول منه لغب يلغب بالضم لغوباً، ولغب بالكسر يلغب لغوباً لغة ضعيفة فيه وكثيراً ما يذكرون الماضي ويتبعونه بالمضارع مكرراً من غير إشارة إلى ضبط وهذا في الغالب يكون من الباب الأول والثاني مثال ذلك قوله: عكفه أي حبسه ووقفه يعكفه ويعكفه عكفاً ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾(١)، يقال ما عكفك عن كذا. ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس وعكف على الشيء يعكف ويعكف عكوفاً أي أقبل عليه مواظباً. وأما السكون والتشديد فلا يقعان في أول الكلمة فإذا عين موضعهما فالأمر ظاهر وإن لم يعين فالغالب أن يكون موضعهما الحرف الثاني إلا أن تدل قرينة على غيره فيرجع إليها مثال ذلك

(١) سورة الفتح الآية ٢٥.

ظاهر كقول بعضهم المغرب بكسر الراء على الأكثر وبفتحها والنسبة إليه مغربي بالوجهين.

وكقوله الغرفة العلية والجمع غرف والغرفات بفتح الراء جمع الجمع عند قوم وهو تخفيف عند قوم وتضم الراء للإتباع وتسكن حملاً على لفظ الواحد، والمغرفة بكسر الميم ما يغرف به الطعام.

وإذا ابهموه فإن لم يكن ثم قرينة كان موضع تلك الحركة هو الحرف الأول مثال ذلك قول الجوهري اللُّعبة بالضم لعبة الشطرنج والنرد وكل ملعوب به فهو لعبة لأنه اسم، ومنه قولهم اقعد حتى أفرغ من هذه اللعبة، وقال ثعلب: من هذه بالفتح أجود لأنه أراد المرة الواحدة من اللعب، واللعبة بالكسر نوع اللعب مثل الركبة والجلسة.

فإن وجدت قرينة تدل على غيره كان موضعها ما دلت عليه مثال ذلك قوله: القالب بالفتح قالب الخف وغيره والقالب بالكسر البسر الأحمر وقوله الطابع بالفتح الخاتم والطابع بالكسر لغة فيه فإن الحرف الأول لا يتصور فيه هنا غير الفتح لوجود الألف اللينة بعده فتعين أن يكون الفتح والكسر راجعاً إلى اللام في القالب والباء في الطابع ومما يتعين فيه الحرف الثاني الفعل الماضي من الثلاثي لأن الأول والثالث لا يحتاجان إلى ضبط مثال ذلك قوله: «الحلم» بالضم ما يراه النائم تقول منه: «حلم» بالفتح واحتلم و«الحلم» بالكسر الإناة تقول: منه حلم الرجل بالضم، والحلم بالتحريك إن يفسد الاهاب في العمل تقول: منه حلم الأديم بالكسر فموضع الحركة في قوله: حلم بالفتح وحلم بالضم وحلم بالكسر، إنما هو اللام الذي هو عين الفعل بخلاف قوله: الحلم بالضم والحلم بالكسر، فإن موضع الحركة فيهما إنما هو الحرف الأول وهو الحاء، وأما قوله: والحلم بالتحريك، فإنه يشير به إلى فتح الحرف الأول والثاني وهما الحاء واللام، وإنما دل قوله: بالتحريك على فتح الثاني لأن الحرف الأول لا يكون إلا محركاً والأصل فيه أن يكون محركاً بالفتحة ولذلك لا يشيرون غالباً إلى حركة الحرف الأول إذا كان محركاً بها لأنه جاء على الأصل، والأصل في حرف الثاني في كثير من المواضع أن يكون ساكناً ولذا لا يشيرون إلى

قولهم المضيعة الضياع يقال فلان بدار مضيعة وهي بكسر الضاد وسكون الياء مثل معيشة ويجوز فيها سكون الضاد وفتح الياء مثل مسلمة، وقولهم المشورة اسم من شاورته، وفيها لغتان: **إحداهما**: سكون الشين وفتح الواو، **والثانية**: ضم الشين وسكون الواو وزان معونة.

❊ ❊ ❊

طريقة المتقدمين في ذلك

وأما المتقدمون فأغفلوا ذلك في كثير من المواضع لاسيما ما يستغنى عن ضبطه الخواص واقتصروا فيها على الشكل فإن كان في الكلمة لغات كرروها بعددها ليتيسر شكلها بالأوجه المختلفة كقول الجوهري: (قلب النخلة لبها)، وفيه ثلاث لغات: «قَلب» «قلِب» «قُلب»[1] والشكل وإن كان كافياً في الضبط إلا انه كثيراً ما يغفله النساخ فإن لم يغفلوه لم يخل غالباً من خطأ يتطرق إليه، إما عن جهل أو غفلة، وإنما حملهم على الاقتصار على الشكل فيما لا يعم الإشكال فيه ما كان لهم من العناية بكتب اللغة فإنها كانت تروى كما تروى كتب الحديث وتقابل على الأصول المعتمدة وكان كثير منها جامعاً بين صحة الضبط وحسن الخط، فلما فترت الهمم وخشي من شيوع التصحيف في اللغة تدارك علماؤها ذلك وسلكوا طريقاً يؤمن فيه من العثار وهو الطريق الذي أشرنا إليه أولاً.

واعلم أنهم قد يعينون موضع الحركة وقد يوهمونه فإذا عينوه فالأمر

---

(١) وقد كتب أهل العربية في الألفاظ التي تكتب بالفتحة والضمة والكسرة في نفس الكلمة ـ اللغة المثلثة ـ، منها مثلثات قطرب ـ عنوان الشرف الوافي بدون ترقيم ـ ونظم إبراهيم الأزهري ت: الطاهر أحمد الزاوي وهي مرتبة على حروف المعجم وكذا نظم عبدالعزيز المغربي، ونظم محمد بن علي بن زريق وغيرهم وشرح نظم مثلث قطرب لعمار بن خميسي ط: دار ابن حزم، وقد كتب اللغة المثلثة العلاّمة أحمد الشرقاوي في كتابه «معجم المعاجم» ص ٣٠٢ ـ ٣١٤.

«قاعدة ثانية»

اعلم أن الأبواب الثلاثية الأول لا يكفي فيها النص على حركة الحرف الأوسط من الماضي في معرفة وزن المضارع لاختلاف وزن المضارع مع اتحاد الماضي فلابد من النص على المضارع أيضاً أو رده إلى بعض الموازين المذكورة، وأما الباب الرابع والخامس فيكفي فيهما النص على حركة الحرف الأوسط من الماضي في معرفة وزن المضارع لأن مضارع فعل بالكسر عند الإطلاق لا يكون إلا يفعل بالفتح كذا اصطلاح(١) أئمة اللغة في كتبهم لأن اجتماع الكسر في الماضي والمضارع قليل وكذا اجتماع الكسر في الماضي مع الضم في المضارع قليل أيضاً لأنه أيضاً من تداخل اللغتين مثل فضل يفضل ونحوه فمتى اتفق نصوا عليه فيهما ومضارع فعل بالضم لا يكون إلا يفعل بالضم.

ففي الباب الرابع والخامس لا نذكر إلا الماضي المقيد والمصدر فقط طلباً للإيجاز ومتى قلنا في فعل مضارع بالضم أو بالكسر فاعلم أن ماضيه مفتوح الوسط لا محالة ـ وكذا أيضاً لا نذكر مصدر الفعل الرباعي مع ذكر الفعل إلا نادراً لأن مصدره مطرد على وزن الأفعال بالكسر لا يختلف ـ وكذا نسند كل فعل نذكره إلى ضمير الغائب غالباً لأنه أخصر في الكتابة إلا في موضع يفضي إلى اشتباه الفعل المتعدي باللازم اشتباها لا يزول من اللفظ الذي نفسر به الفعل أو يكون في إسناده إلى ضمير المتكلم فائدة معرفة كونه واوياً أو يائياً نحو غزوت ورميت فيكون إسناده إلى ضمير المتكلم دالاً على مضارعه أو يكون مضارعاً فيكون إسناده إلى ضمير المتكلم مع النص على حركة عين الفعل دالاً على بابه نحو صددت ومسست ونحوهما أو فائدة أخرى إذا طلبها الحاذق وجدها فحينئذٍ نسنده إلى ضمير المتكلم ونترك الاختصار دفعاً للاشتباه أو تحصيلاً للفائدة الزائدة وإنما نذكر في أثناء المختصر لفظ الماضي مع قولنا: إنه من باب كذا لفائدة

---

(١) مختار الصحاح ص٩/٨.

زائدة على معرفة بابه وهي كونه متعدياً بنفسه أو بواسطة حرف الجر وأي حرف هو وأما ما عدا الثلاثي من الأفعال فإنا لم نذكر له ميزاناً، لأنه جار على القياس في الغالب فمتى عرف ماضيه عرف مضارعه ومصدره إلا ما خرج مضارعه أو مصدره عن قياس ماضيه فإنا ننبه عليه ـ وكذا أيضاً لم نذكر الفعل المتعدي بالهمزة أو بالتضعيف بعد ذكر لازمه لأن لازمه متى عرف فقد عرف تعديه بالهمزة والتضعيف من قاعدة العربية كيف وإن تلك القاعدة مذكورة أيضاً في حرف الباء الجارة من باب الألف اللينة في هذا المختصر فإن اتفق ذكر الفعل لازماً أو متعدياً بواسطة فذلك لفائدة زائدة تختص بذلك الموضع غالباً(١).

* * *

«قاعدة ثالثة»

اعلم أنا متى ذكرنا مع الفعل مصدراً بوزن التفعيل أو التفعل أو التفعلة أو ذكرنا مصدراً من هذه الأوزان الثلاثة وحده أو قلنا فعله فتفعل كان ذلك كله نصاً على أن الفعل مشدد إذ هو القاعدة فيؤمن الاشتباه فيه مع ذلك والتزمنا من الموازين أنا متى قلنا في فعل من الأفعال أنه من باب ضرب أو نصر أو قطع أو غير ذلك من الموازين المعدودة فإنه يكون موازناً له في حركات ماضيه ومضارعه ومصدره أيضاً على التصريف المذكور عند ذكر الموازين لا على غيره إن كان للميزان تصريف آخر غير التصريف الذي ذكرناه، وأما الأسماء فإنا ضبطنا كل اسم يشتبه على الأعم الأغلب إما بذكر مثال مشهور عقيبه وإما بالنص على حركات حروفه التي يقع فيها اللبس وإن كان كثير مما قيدناه يستغني عن تقييده الخواص ولهذا أهمله الجوهري رحمه الله تعالى لظهوره عنده ولكنا قصدنا بزيادة الضبط بالميزان أو بالنص عموم الانتفاع به وأن لا يتطرق إليه بمرور الأيام تحريف النساخ وتصحيفهم

(١) مختار الصحاح ص ٩/٨.

فإن أكثر أصول اللغة إنما يقـل الانتفاع بها ويعسر لعلتين:

(إحداهما): عسر الترتيب بالنسبة إلى الأعم الأغلب.

(والثانية): قلة الضبط فيها بالموازين المشهورة وقلة التنصيص على أنواع الحركات اعتماداً من مصنفيها على ضبطها بالشكل الذي يعكسه التبديل والتحريف عن قريب أو اعتماداً على ظهورها عندهم فيهملونها من أصل التصنيف[١].

وهنا تمَّ ما أردنا ايراده في شرح خطبة الكافي من الفوائد التي لا يستغني عنها من أحب أن يكون على بصيرة في علم اللغة، وقد آثرنا الإيجاز في كثير من المواضع ونسأل من لا يخيب راجيه أن يقيلنا العثرة وأن يجعلنا ممن يجزى بالحسنى.

(١) مختار الصحاح ص ١٠/٩.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس الألفاظ اللغوية.
- فهرس المصنفات والكتب الواردة في النص.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة
حرف الألف	
ـ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	٨٦
ـ ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا﴾	٨٩
ـ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾	٨١
ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾	٣٨
حرف العين	
ـ ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾	٨١
حرف الفاء	
ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾	٨١
ـ ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾	٩٤
حرف القاف	
ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾	٩٣

فهرس الأشعار

فهرس الألفاظ اللغوية

فهرس المصنفات والكتب الواردة في النص

فهرس الأعلام

المصادر والمراجع

١ ـ **القرآن الكريم**.

٢ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**: وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ط: دار الجيل، بيروت.

٣ ـ **معجم الأعلام**: بسام عبدالوهاب الجابي ـ الجفان والجابي ط: ١٩٨٧.

٤ ـ **أساس البلاغة**: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ط: دار الفكر، بيروت سنة ٢٠٠٠.

٥ ـ **كتاب التعريفات**: للجرجاني ط: دار الفكر، بيروت سنة ١٩٩٨.

٦ ـ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: للإمام ابن هشام الأنصاري ت: محمد محي الدين عبدالحميد ٢/١ط: المكتبة العصرية، بيروت سنة ٢٠٠٣.

٧ ـ **أمالي القالي**: ت: الشيخ صلاح بن فتحي هلل والشيخ سيد بن عباس الجليمي ط: المكتبة العصرية، بيروت سنة ٢٠٠٢.

٨ ـ **كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني**: لابن قتيبة الدينوري ٣/١ط: دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٨٤.

٩ ـ **الكامل**: للمبرد ط: دار الفكر، بيروت سنة ١٩٩٨.

١٠ ـ **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**: أدورف فنديك ط: عالم الكتب بدون تاريخ.

١١ ـ **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**: للسيوطي ت: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ومحمد أحمد جاد المولى بك.ط: دار الحرم للتراث القاهرة.

١٢ ـ **فقه اللغة**: لأبي منصور الثعالبي ت: عمر الطباع ط: دار الأرقم، بيروت سنة ١٩٩٩.

١٣ ـ **شرح ديوان الحماسة**: لأبي تمام ط: عالم الكتب.

١٤ ـ **الكفاية في النحو**: لمحمد بن عبدالله بن محمود ت: محمد يحيى جاد الله الجعبري ط: دار ابن حزم سنة ٢٠٠٥.

١٥ ـ **ديوان امرؤ القيس**: شرح حجر عاصي ط: دار الفكر العربي، بيروت سنة ١٩٩٤.
١٦ ـ **ديوان عنترة بن شداد**: شرح يوسف عيد ط: دار الجيل، بيروت سنة ٢٠٠١.
١٧ ـ **ديوان ذي الرمة**: كارليل هنري هيس مكارتني ط: عالم الكتب بدون تاريخ.
١٨ ـ **شرح المعلقات السبع**: للزوزني ط: دار صادر، بيروت ٢٠٠٢.
١٩ ـ **شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها**: للأمين الشنقيطي ت: محمد عبدالقادر الفاضلي ط: المكتبة العصرية سنة ٢٠٠١.
٢٠ ـ **مختار الصحاح**: للرازي ت: محمود خاطر ط: دار الفكر، بيروت سنة ٢٠٠١.
٢١ ـ **الفصيح**: لثعلب ت: صبيح التميمي ط: دار الشهاب الجزائر سنة ١٩٨٥.
٢٢ ـ **الأمالي النحوية**: لابن الحاجب ت: هادي حسن حمودي ط: عالم الكتب ١٩٨٥.
٢٣ ـ **اللمع في العربية**: لابن جني ت: حامد المؤمن ط: عالم الكتب ١٩٨٥.
٢٤ ـ **الخصائص**: لابن جني ت: عبدالحميد هنداوي ط: دار الكتب العلمية، بيروت سنة ٢٠٠٣.
٢٥ ـ **كتاب العين**: للفراهيدي ت: عبدالحميد هنداوي ط: دار الكتب العلمية بيروت سنة ٢٠٠٣.
٢٦ ـ **المصباح المنير**: للفيومي ط: دار الفكر، بيروت بدون تاريخ.
٢٧ ـ **فقه اللغة وخصائص العربية**: تأليف محمد المبارك ط: دار الفكر، بيروت سنة ٢٠٠٥.
٢٨ ـ **البلغة في تاريخ أئمة اللغة**: للفيروزآبادي ط: المكتبة العصرية، بيروت سنة ٢٠٠١.
٢٩ ـ **مراتب النحويين**: لأبي الطيب اللغوي ط: المكتبة العصرية، بيروت سنة ٢٠٠٢.
٣٠ ـ **معجم الجيم**: لمحمد فريد عبدالله ط: دار ومكتبة الهلال ودار البحار سنة ٢٠٠٤.
٣١ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: ت: مصطفى عبدالقادر عطا ط: دار الكتب العلمية ٢٠٠٣.
٣٢ ـ **فقه اللغة**: د: عبدالواحد وافي ط: دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة.
٣٣ ـ **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**: لأحمد بن فارس اللغوي ت: عمر فاروق الطبّاع ط: مكتبة المعارف، بيروت سنة ١٩٩٣.

٣٤ - **كتاب مجمل اللغة**: لأحمد بن فارس اللغوي ت: الشيخ شهاب الدين أبو عمرو ط: دار الفكر، بيروت سنة ١٩٩٤.

٣٥ - **شرح أدب الكاتب**: لأبي منصور الجواليقي تقديم السيد مصطفى صادق الرافعي ط: دار الكتاب العربي، بيروت بدون تاريخ.

٣٦ - **شرح قطر الندى وبل الصدى**: لابن هشام الأنصاري ط: دار الفكر، بيروت سنة ٢٠٠١.

٣٧ - **شذور الذهب**: لابن هشام الأنصاري ت ك يوسف الشيخ محمد البقاعي ط: دار الفكر، بيروت سنة ١٩٩٨.

٣٨ - **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**: تصنيف الشيخ بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري مراجعة د: عثمان بدري ط: دار ثالة الجزائر سنة ٢٠٠٢.

٣٩ - **الإتقان في علوم القرآن**: للسيوطي ط: دار المعرفة، بيروت بدون تاريخ.

٤٠ - **أسباب حدوث الحروف تصنيف الرئيس أبي علي الحسين بن سينا**: ت: طه عبدالرؤوف سيد ط: مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

٤١ - **العلم الخفاق في علم الاشتقاق**: لصديق حسن خان ط: الجوائب.

٤٢ - **الكافي في اللغة**: لطاهر الجزائري مطبعة كردستان العلمية، القاهرة سنة ١٣٢٦هـ.

٤٣ - **قواعد الإملاء**: تأليف عبدالسلام هارون ط: مكتبة رحاب، الجزائر ١٩٨٩.

٤٤ - **السلم المرونق في علم المنطق**: للأخضري ت: أبو بكر بلقاسم ضيف ط: دار ابن حزم سنة ٢٠٠٦.

٤٥ - **القاموس المحيط**: للفيروآبادي ط: الميرية القاهرة سنة ١٣٠١ هـ.

٤٦ - **كتاب معالم الاهتدا بشرح شواهد قطر الندا وبل الصدا**: للشيخ عثمان بن المكي الزبيدي ط: تونس سنة ١٣٤٢هـ.

٤٧ - **شواهد القطر**: للشيخ الخطيب الشربيني ط: الأزهرية، القاهرة سنة ١٣١١هـ.

٤٨ - **معجم اصطلاحات الأحاديث النبوية**: تأليف عبدالمنان الراسخ ط: دار ابن حزم، بيروت سنة ٢٠٠٤.

٤٩ - **مجلة الحرس الوطني السعودية**: سنة ٢٠٠٣.

٥٠ - **المجلة الأحمدية**: ط: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي سنة ٢٠٠١.

٥١ - **توجيه النظر إلى أصول الأثر**: لطاهر الجزائري اعتناء: عبدالفتاح أبو غدة ط: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، سوريا سنة ١٩٩٥.

٥٢ ـ **الشعر والشعراء**: لابن قتيبة الدينوري ت د: عمر الطباع ط: دار الأرقم، بيروت سنة ١٩٩٧.
٥٣ ـ **طبقات النحويين واللغويين**: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ت محمد أبو الفضل إبراهيم ط: دار المعارف، مصر سنة ١٩٧٣.
٥٤ ـ **الاشتقاق**: لابن دريد، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بمصر.
٥٥ ـ **الاقتراح في علم أصول النحو**: للسيوطي ت: محمد حسن إسماعيل الشافعي ط: دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٩٨.
٥٦ ـ **معجم مشاهير المغاربة**: لفيف من الأساتذة.
٥٧ ـ **معجم أعلام الجزائر**: ط: مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت.
٥٨ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥/١**: لأبي الحسن علي بن محمد الجزري بن الأثير ت : الشيخ خليل مأمومون شيحا ط: دار المعرفة، بيروت.
٥٩ ـ **معجم المفسرين**: لعادل نويهض، بيروت سنة ١٩٨٤.
٦٠ ـ **كتاب الغريبين للهروي ٦/١** ت: أحمد فريد المزيدي ط: المكتبة العصرية، بيروت سنة ١٩٩٩.
٦١ ـ **النشر في القراءات العشر**: تأليف ابن الجزري ت: الأستاذ علي محمد الضباع ط: دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٩٨.
٦٢ ـ **الأعلام ٩/١**: لخير الدين الزركلي.
٦٣ ـ **معجم المؤلفين**: لعمر رضا كحالة.
٦٤ ـ **طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام**: لعدنان الخطيب.
٦٥ ـ **تنوير البصائر في سيرة الشيخ طاهر**: لمحمد سعيد الباني ط: الحكومة العربية السورية سنة ١٣٣٩.
٦٦ ـ **معجم مقاييس اللغة٦/١**: لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي ت: عبدالسلام محمد هارون ط: دار الفكر، بيروت ١٩٧٩.
٦٧ ـ **ديوان طرفة بن العبد**: ط: دار، بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٨٢.
٦٨ ـ **ديوان الأعشى قيس**: ط: دار، بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٨٠.
٦٩ ـ **الصحاح للجواهري ٧/١**، ت: اميل بديع يعقوب ود: محمد نبيل طريفي ط: دار الكتب العلمية ـ لبنان.
٧٠ ـ **معجم الشعراء**: للمرزباني ت: د: فاروق أسليم ط: دار صادر سنة ٢٠٠٥.
٧١ ـ **النهاية في غريب الحديث**: لابن الأثير ت: محمود الطناحي وأحمد طاهر الزاوي ط: المكتبة العلمية بدون تاريخ.

٧٢ ـ **العقود اللؤلؤية في الكشف عن المطبوعات العربية الجزائرية**: للشيخ بشير ضيف بن أبي بكر الجزائري، ـ مخطوط ـ.

٧٣ ـ **الإمتاع والمؤانسة**: لأبي حيان التوحيدي ت: محمد الفاضلي ط: دار الجيل، بيروت سنة ٢٠٠٣.

٧٤ ـ **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**: لشمس الدين السخاوي ت: الشيخ صلاح محمد محمد عويضة ط: دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٩٦.

٧٥ ـ **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ٢/١**: لأبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت بدون تاريخ.

٧٦ ـ **جمهرة أشعار العرب**: لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ط: دار المسيرة، بيروت سنة ١٩٨٣.

٧٧ ـ **المغرب في ترتيب المعرب**: لأبي الفتح ناصر بن عبدالسيد بن علي المطرزي ط: دار الكتاب العربي، بيروت لبنان بدون تاريخ.

٧٨ ـ **علم اللغة**: لعلي عبدالواحد وافي ط: دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة سنة ١٩٤٥.

٧٩ ـ **كتاب سيبويه**: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت: عبدالسلام محمد هارون ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧.

٨٠ ـ **إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين**: لعبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني ت: د: عبدالمجيد دياب ط: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية سنة ١٩٨٦.

٨١ ـ **معجم المعاجم**: لأحمد الشرقاوي إقبال ط: دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٨٧.

٨٢ ـ **معجم المطبوعات العربية والمعربة**: ليوسف سركيس ط: مكتبة الثقافة الدينية القاهرة سنة ١٩٢٨.

٨٣ ـ **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: ٢/١ لأسماعيل باشا البغدادي ط: طهران سنة ١٣٧٨هـ.

٨٤ ـ **التكملة**: لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي ت: حسن شاذلي فرهود ط: ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر سنة ١٩٨٤.

٨٥ ـ **المخصص٥/١**: لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده ط: دار الفكر، بيروت سنة ١٩٧٨.

٨٦ ـ **جسم الانسان في معاجم المعاني دراسة تحليلية لغوية**: تأليف الدكتورة وجيهة السطل إصدارات دار الفيصل الثقافية سنة ١٩٩٨.

٨٧ - **كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ**: لابن الاجدابي الطرابلسي ط: العباسية سنة ١٣١٣.

٨٨ - **المعارف**: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ط: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان سنة ٢٠٠٣.

٨٩ - **معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية البكستانية**: إعداد د: أحمد خان ط: مكتبة الملك فهد الوطنية سنة ٢٠٠٠.

٩٠ - **تاريخ آداب العرب**: لمصطفى صادق الرافعي ط: دار الكتاب العربي سنة ٢٠٠٥.

٩١ - **معجم الأفعال المتعدية بحرف**: تأليف موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي ط: دار العلم للملايين سنة ١٩٧٩.

٩٢ - **فكر ومباحث**: لعلي الطنطاوي ط: دار المنارة ودار ابن حزم سنة ٢٠٠٥.

٩٣ - **مثلثات قطرب نظم إبراهيم الأزهري**: ت: الطاهر أحمد الزاوي ط: دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

٩٤ - **عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي**: للشيخ إسماعيل بن أبي بكر المقري ت: عبدالله إبراهيم الانصاري ط: عالم الكتب سنة ١٩٩٦.

٩٥ - **شرح نظم مثلث قطرب**: اعتناء عمّار بن خميسي ط: دار ابن حزم، بيروت سنة ٢٠٠٥.

٩٦ - **شرح جمل الزجاجي**: لابن هشام الانصاري ت: علي محسن عيسى مال الله ط: عالم الكتب، بيروت سنة ١٩٨٦.

٩٧ - **حياة اللغة العربية**: لحفني ناصف: مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد القاهرة سنة ٢٠٠٢.

٩٨ - **معاصرون**: لكرد علي أشرف عليه محمد المصري ط: دار صادر سنة ١٩٩٣.

٩٩ - **طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث**: لحازم زكريا محي الدين ط: دار القلم دمشق سنة ٢٠٠٤.

١٠٠ - **مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية**: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر سنة ٢٠٠١.

١٠١ - **الظاهرة اللغوية الأصل والتطور والمستقبل**: أ.د محمد عبدالحي ط: الإمارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠٥.

١٠٢ - **إصلاح المنطق**: لابن السكيت اعتناء: محمد مرعب ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان سنة ٢٠٠٢.

١٠٣ ـ **دوافع البحث والتأليف عند المسلمين**: لمحمد خير رمضان يوسف ط: دار ابن حزم، بيروت سنة ٢٠٠٥.

١٠٤ ـ **كتاب شذا العَرْف في فن الصرف**: تأليف الأستاذ أحمد الحملاوي ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٠.

١٠٥ ـ **دراسات في اللغة والمعاجم**: للدكتور حلمي خليل ط: دار النهضة العربية، بيروت سنة ١٩٩٨.

١٠٦ ـ **ديوان رؤبة** ت: وليم بن اللورد ليبسك ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت سنة ١٩٧٩.

١٠٧ ـ **عقود الجواهر في الكشف عن مخطوطات علماء الجزائر**: تصنيف بشير ضيف بن أبي بكر الجزائري مخطوط.

١٠٨ ـ **فقه اللغة مناهله ومائله**: تأليف: د: محمد أسعد النادري ط: المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت سنة ٢٠٠٥م.

١٠٩ ـ **معجم مفردات ألفاظ القرآن**: للعلامة الراغب الأصفهاني. ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي ط. دار الفكر ـ بيروت ـ سنة ٢٠٠٦م.

الفهرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة